جامعة الكويت

حوليات

كلية الآداب

الغزو الفرنسي للجزائر
في وثيقة أمريكية معاصرة

د. منصور أحمد حسين

قسم التاريخ - جامعة الكويت

الحولية التاسعة

الرسالة الخامسة والخمسون

١٤٠٨ / ١٤٠٩هـ

١٩٨٧ / ١٩٨٨م

هيئة التحرير

د. عبدالمحسن مدعج المدعج رئيس هيئة التحرير
ا. د. فؤاد حسن زكريا
د. منصور أحمد بوحمسين
د. محمد سليمان الحداد
د. محمد رجا الدريني

ثمن الرسالة

الكويت ٥٠٠ فلس ـ البحرين ٧٥٠ فلس ـ قطر ٨ ريالات ـ الامارات ٨ دراهم ـ السعودية ٨ ريالات ـ عمان ريال واحد ـ اليمن الجنوبي ٥٠٠ فلس ـ اليمن الشمالي ٥ ريالات ـ العراق ٥٠٠ فلس (نصف دينار) ـ مصر ٥٠ قرشا ـ لبنان ١٠ ليرات ـ الأردن ـ ٥٠٠ فلس ـ سوريا ١٠ ليرات ـ السودان ٥٠٠ مليم ـ ليبيا ٨٠ قرشا ـ الجزائر ١٠ دنانير ـ تونس ٥٠٠ مليم ـ المغرب ٨ دراهم.

الاشتراك السنوي لعدد (٨) رسائل

		الاشتراك	المجلد
الكويت	افراد	ـ ر٤ د.ك	ـ ر٦ د.ك
	مؤسسات	ـ ر١٦	ـ ر١٨
الدول العربية	افراد	ـ ر٥ د.ك	ـ ر٧ د.ك
	مؤسسات	ـ ر١٨	ـ ر٢٠
الدول الاجنبية	افراد	ـ ر٣٢ دولار	ـ ر٤٠ دولاراً
	مؤسسات	ـ ر٦٤	ـ ر٧٠

لأعضاء هيئة التدريس والطلاب خصم ٥٠ ٪

جميع المراسلات الخاصة بشروط النشر او أية إستفسارات أخرى بشأن الحوليات توجه الى رئيس هيئة تحرير الحوليات ـ ص . ب : ١٧٣٧٠ الخالدية ـ الكويت : 72454

حوليات كلية الآداب

تصدر عن كلية الآداب . جامعة الكويت

دورية علمية محكمة تتضمن مجموعة من الرسائل وتعنى بنشر الموضوعات التي تدخل في مجالات اهتمام الأقسام العلمية لكلية الآداب

الحولية التاسعة

الرسالة الخامسة والخمسون

١٤٠٨هـ/١٩٨٨م

صدر من هذه الحوليات

الحولية الأولى لعام ١٩٨٠ :

الرسالة الأولى	: الجذور الفلسفية للبنائية	د. فؤاد زكريا
الرسالة الثانية	: صفحات مجهولة من تاريخ ليبيا	د. محمد عيسى صالحية
الرسالة الثالثة	: ابن قلاقس، حياته وشعره	د. سهام الفريح
الرسالة الرابعة	: الأمير تنكز الحسامي	د. حياة ناصر الحجي
الرسالة الخامسة	. التدرج الطبقي الاجتماعي في بعض الأقطار العربية (باللغة الانجليزية)	د. خلدون حسن النقيب

الحولية الثانية لعام ١٩٨١ :

الرسالة السادسة	: علي أحمد باكثير	د. محمد عبده
الرسالة السابعة	: تحليل اخطاء الطلبة العرب في استعمال أدوات التعريف والتنكير الانجليزية (باللغة الانجليزية)	د. نايف خرما
الرسالة الثامنة	: دولة المماليك ودولة مغول القفحاق	د. حياة ناصر الحجي
الرسالة التاسعة	: المرأة والفلسفة	د. محمود رجب

الحولية الثالثة لعام ١٩٨٢ :

الرسالة العاشرة	: الروابط العائلية القرابية في مجتمع الكويت المعاصر	د. فهد ثاقب الثاقب
الرسالة الحادية عشرة	: البيئة والسلوك	د. طلعت منصور
الرسالة الثانية عشرة	: عالمية الحضارة الاسلامية ومظاهرها في الفنون	د. صلاح الدين البحيري
الرسالة الثالثة عشرة	: لورنس ومحفوظ، دراسة أدبية سيكلوجية، مقارنة	د. محمد رجاء الدريني
الرسالة الرابعة عشرة	: آل قدامة والصالحية	د. شاكر مصطفى

الحولية الرابعة لعام ١٩٨٣ :

الرسالة الخامسة عشرة	: أسلوب إذ في ضوء الدراسات القرآنية والنحوية	د. عبدالعال سالم مكرم
الرسالة السادسة عشرة	: مفهوم التفسير في العلم من زاوية منطقية	د. عزمي موسى اسلام
الرسالة السابعة عشرة	: العمل الاجتماعي في المجال التربوي	د. جلال الدين الغزاوي
الرسالة الثامنة عشرة	: وحدة ميتافيزيقيا أرسطو ومنزلة الرياضيات فيها	د. أبو يعرب المرزوقي
الرسالة التاسعة عشرة	: مفهوم التهكم عند كير كجور	د. امام عبدالفتاح

الحولية الخامسة لعام ١٩٨٤ :

الرسالة العشرون	: «نظرة في قرينة الاعراب» في الدراسات النحوية القديمة والحديثة	د. محمد صلاح الدين بكر
الرسالة الحادية والعشرون:	الاخرويات الاسلامية في الكوميديا الالهية (باللغة الانجليزية)	د. رشا حمود الصباح
الرسالة الثانية والعشرون :	تسع وثائق في شئون الحسبة على المساجد في الأندلس	د. محمد عبدالوهاب خلاف
الرسالة الثالثة والعشرون :	مشروع سوريا الكبرى وعلاقته بضم الضفة الغربية	د. أحمد عبدالرحيم مصطفى
الرسالة الرابعة والعشرون:	مفاهيم العلاج النفسي وانماط التفاعل داخل الأسر المريضة (النشأة والتطور)	د. حامد عبدالعزيز الفقي

الحولية السادسة لعام ١٩٨٥ :

الرسالة الخامسة والعشرون :	نحاة القيروان	د. يوسف أحمد المطوع
الرسالة السادسة والعشرون :	من وثائق الحرم القدسي الشريف المملوكية	د. محمد عيسى صالحية
الرسالة السابعة والعشرون :	الفصاحة : مفهومها وبم تتحقق. قيمها الجمالية	د. توفيق علي الفيل
الرسالة الثامنة والعشرون :	مشكلة التأويل العقلي عند مفكري الاسلام في المشرق العربي وخاصة عند ابن سينا	الاستاذ / سعيد زايد
الرسالة التاسعة والعشرون :	واقع التاريخ في رواية وجوب العنف (باللغة الانجليزية)	د. رشا حمود الصباح
الرسالة الثلاثون :	مكانة رواية روبنسون كروزو في القصص اللايوطوبي (باللغة الانجليزية)	د. محمد رجا الدريني
الرسالة الحادية والثلاثون :	مفهوم المعنى «دراسة تحليلية»	**د. عزمي موسى اسلام**
الرسالة الثانية والثلاثون :	الوصايا ومدى تطورها في العصر العباسي الأول	د. سهام العريح

الحولية السابعة لعام ١٩٨٦ :

الرسالة الثالثة والثلاثون :	بردة البوصيري قراءة أدبية وفلكورية	د. محمد رجب النجار
الرسالة الرابعة والثلاثون :	الارشاد النفسي تطور مفهومه وتميزه	د. عبدالله محمود سليمان
الرسالة الخامسة والثلاثون :	اتجاهات الآباء والامهات الكويتيين في تنشئة الأبناء وعلاقتها ببعض المتغيرات	عبدالفتاح القرشي
الرسالة السادسة والثلاثون :	علم العمران الخلدوني وعلم الاجتماع الحديث (باللغة الانجليزية)	د. فؤاد البعلي
الرسالة السابعة والثلاثون :	قبلية تميم العربية بين الجاهلية والاسلام	د. عبدالجبار العبيدي
الرسالة الثامنة والثلاثون :	عيوب الكلام، دراسة لما يعاب في الكلام عند اللغويين العرب	د. وسمية المنصور
الرسالة التاسعة والثلاثون :	المواقع الاسلامية المندثرة في وادي حلي	د. احمد بن عمر الزيلعي
الرسالة الاربعون :	البحر في شعر الاندلس والمغرب	د. منجد مصطفى بهجت

الحولية الثامنة لعام ١٩٨٧

الرسالة الحادية والاربعون :	البيئة المائية في الاردن (باللغة الانجليزية)	د. عبدالرحيم مسعد
الرسالة الثانية والاربعون :	وثائق جديدة عن حملة سنان باشا الى اليمن (سنة ٩٧٦هـ/٦٨ - ١٥٦٩م)	د. محمد عيسى صالحيه
الرسالة الثالثه والاربعون :	التوجيه والارشاد النفسي للاطفال غير العاديين (دراسة تحليلية)	د. محمد ماهر محمود
الرسالة الرابعة والاربعون :	المراحل الارتقائية لمنهجية الفكر العربي الاسلامي	د. حسن عبدالحميد عبدالرحمن
الرسالة الخامسة والأربعون :	عبدالله بن سبأ - دراسة للروايات التاريخية عن دورة في الفتنة	د. عبدالعزيز الهلابي
الرسالة السادسة والاربعون :	ضمائر الغيبة اصولها وتطورها	د. فوزي حسن الشايب
الرسالة السابعة والاربعون :	قبيلة اياد منذ العصر الجاهلي حتى نهاية العصر الأموي.	د. محمد احسان النص
الرسالة الثامنة والاربعون :	تاريخ العلاقات التجارية بين الهند ومنطقة الخليج العربي في العصر الحديث	د. عبد المالك خلف التميمي

الحولية التاسعة لعام ١٩٨٨

الرسالة التاسعة والاربعون :	أضواء على ملكة سبأ	د. محمد ابراهيم مرسي

الرسالة الخمسون :	دراسة سوسيولوجية حول ظاهرة الشيخوخة ودور الخدمة الاجتماعية	د . جلال الدين الخزاوي
الرسالة الواحدة والخمسون :	هجرة الكفاءات العلمية العربية وردود مجلس التعاون في الافادة منها	د. محمد رشيد الفيل
الرسالة الثانية والخمسون :	الفتح الاسلامي لبلاد وادي السند	د. سعد محمد حذيفة الغامدي
الرسالة الثالثة والخمسون	الدولة والتجارة في العصر البيزنطي الأوسط	د. وسام عبد العزيز فرج
الرسالة الرابعة والخمسون	مدن التنمية في فلسطين المحتلة	د. محمد مدحت عبد الجليل

الغزو الفرنسي للجزائر
في وثيقة أمريكية معاصرة

د. منصور أحمد حسين
قسم التاريخ - جامعة الكويت

حوليات كلية الآداب - الحولية التاسعة - ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م

المؤلف

منصور أحمد أبو خمسين.

* دكتوراه في التاريخ الحديث ـ جامعة كاليفورنيا/ بيركلي سنة ١٩٨٣.
* مدرس تاريخ أوروبا الحديث ـ جامعة الكويت.

من مؤلفاته:

باللغة العربية

* «المصادر الأمريكية وتاريخ الجزائر الحديث: دراسة ببليوغرافية». المجلة العربية للعلوم الإنسانية.

باللغة الانجليزية

* صفحة مبكرة من العلاقات الشرقية الغربية: السانت سيمونيون بين الموادعة والعنف والقومية والدولية» المجلة العربية للعلوم الاجتماعية.

محتوى البحث

ملخص البحث	٩
مقدمة	١١
وصف الوثيقة	١٣
كاتب الوثيقة	١٤
أسلوب الوثيقة	١٤
محتوى الوثيقة	١٤
تحليل الوثيقة	١٧
الترجمة العربية للوثيقة	٢٥
النص الإنجليزي للوثيقة	٣٨
المصادر والحواشي	٥٠
صورة الوثيقة	٥٦
المصادر والمراجع	٨٣

ملخص

يقدم هذا البحث للقراء وثيقة أمريكية عثر عليها الباحث في دار الوثائق الأمريكية في واشنطن العاصمة، والوثيقة عبارة عن تقرير مطول كتبه قنصل الولايات المتحدة الأمريكية في مدينة الجزائر «هنري لي» وهو مؤرخ معروف، إلى وزير الخارجية الأمريكي «فان بيرن» بعد عشرة أيام من الاحتلال الفرنسي لتلك المدينة. ويهدف الباحث من خلال دراسة هذه الوثيقة وترجمتها إلى تقديم ما بها من معلومات إلى جانب إبراز ما يمكن أن تضيفه الوثائق غير الفرنسية من معلومات وتلقيه من ضوء على العديد من قضايا تاريخ الجزائر الحديث،إذ يعطي التقرير وصفاً شبه محايد لحادثة الغزو ويضيف بعض المعلومات الجديدة حول تلك الحادثة ويفند بعض الادعاءات الفرنسية التي شاعت منذ أيام الغزو وحتى الآن.

يبدأ البحث بتقديم بعض المعلومات عن الوثيقة وعن كاتبها ثم يناقش بعض القضايا التى يلقي التقرير ضوءاً جديداً حولها بما يورده من معلومات وآراء. وأهم هذه القضايا هو حجم قوة الدفاع الجزائرية التى يتضح من دراسة التقرير وفحص أرقامه أنها كانت أقل بكثير مما تدعيه المصادر الفرنسية ، ولا يدع كاتب التقرير وهو شاعد عيان ذو خبرة أي مجال للشك في أن القوة الجزائرية المدافعة كانت أصغر حجماً من القوة الفرنسية المهاجمة . والقضية الثانية هى مدى فعالية البحرية الفرنسية خلال العمليات العسكرية . ويتضح من التقرير أن تلك الفعالية كانت شبه معدومة ولم تترك

التحصينات الجزائرية أية فرصة لتلك البحرية للإضرار بمدينة الجزائـر أو دفاعاتها .

ويلقى التقرير الضوء كذلك على بعض الممارسات اللاإنسانية للقوات الفرنسية خلال الغزو بما فى ذلك حوادث النهب والسلب والقتل التى تعرضت لها القنصليات الأجنبية الموجودة فى مدينة الجزائر . ويتنبأ التقرير بشدة وضراوة المقاومة الجزائرية لمحاولات بسط الاحتلال إلى بقية أرجاء الجزائر .

الغزو الفرنسي للجزائر فى وثيقة أمريكية معاصرة

كان نزول القوات الفرنسية فى سيدي فرج فى ١٤ يونية ١٨٣٠ ، وماتبعه من احتلال لمدينة الجزائر فى ٥ يولية ١٨٣٠ ، واحدة من أهم العلامات فى تاريخ المواجة بين أوروبا والعالم الإسلامي وإيذاناً بافتتاح حقبة جديدة من حقب تاريخ المغرب العربي بل والعالم العربي كله . كانت تلك الواقعة بداية لأهم وقائع الاستعمار الذي تعرض له العالم العربي فى العصر الحديث . وتأتي تلك الأهمية من العنف والشدة والتوتر الذى رافق ذلك الاستعمار ، والبعد الذي وصل إليه من إسكان وتوطين لأكثر من مليون أوروبي على أرض الجزائر ، والمدة التي استمر فيها ذلك الاستعمار ، والعنف والعذاب والتضحية التي كلفتها إزالته .

لقد كان احتلال الفرنسيين لمدينة الجزائر بداية عصر جديد ، عصر الهيمنة الأوروبية ، الذي بسط الغرب خلاله يده على مقادير الشرق لفترة امتدت لأكثر من قرن من الزمن . ولقد أدرك الفرنسيون منذ فترة مبكرة أهمية هذا الحدث. فلقد قام العديد ممن شاركوا فيه بكتابة مذكراتهم وانطباعاتهم عنه[١] ، وتم حفظ وتنسيق العديد من الوثائق المتعلقة به[٢] ، وكل ذلك يسر للمؤرخين الفرنسيين عملية البحث والتوثيق فأشبعوا واقعة احتلال مدينة الجزائر بالدراسة والتدقيق[٣] .

أما من الجانب الجزائري فلم يصلنا من الوثائق المعاصرة أو شهادات شهود العيان إلا أقل القليل . فمن الوثائق العثمانية لم يتيسر للباحثين إلا ما استخدمه أرجمنت كوران فى كتابه عن السياسة العثمانية تجاه الاحتلال الفرنسي للجزائر[٤]. ولم يصلنا من شهادات أو ملاحظات المدافعين عن الجزائر إلا ثلاث ، الأولى لموظف عثماني كان موجوداً في الجزائر خلال الاحتلال هو أحمد أفندي[٥] ، والثانية لعثمان بن حمدان خوجة أحد كبار

موظفي أيالة الجزائر فى كتابه المرآة[٦] ، والثالثة للحاج أحمد بأي حاكم ولاية قسنطينة ، التي ضمنها في مذاكراته التي كتبها على لسانه بعد أسره أحد ضباط الاحتلال الفرنسي[٧] .

كل ذلك جعل الصورة التي تم رسمها لعملية الغزو صورة ناقصة مشوهة . إذ في غياب الوثائق ووجهة النظر الجزائرية ساد التوثيق والتفسير الفرنسيين لكل جوانب تلك الواقعة . وصارت المصادر والمراجع الفرنسية هي المنبع المعتمد للحصول على التفاصيل والتحليلات . والمطلع على تلك المصادر والمراجع يعلم أن أقل ما يقال فيها هو أنها لا تمثل إلا جانباً واحداً من جوانب الصراع ولا تهتم إلا بتقديم وجهة نظر واحدة .

لقد تم تجميع وثائق الاحتلال في غمرة شعور النشوة بالظفر وتمت كتابة شهادات العيان من قبل أناس شاركوا في العملية ، لهم مالها وعليهم ما عليها ، وكتبت معظم تواريخ احتلال مدينة الجزائر من قبل مؤرخين كانوا مرتبطين بدرجة أو بأخرى بالنظام الاستعماري الذي أفرزه ذلك الاحتلال . لذا ليس من المستغرب أن نجد المصادر والمراجع الفرنسية في غالبيتها الساحقة تتفق حول أدق التفاصيل وتنضح بنفس الروح الموالية لفرنسا وقوتها العسكرية . وهكذا، بينما نجد هذه المصادر تسرد لنا المعلومات المفصلة عن تركيب قوات الغزو وتسليحها وحركاتها وأدق التفاصيل عما قامت به من تحرك أو مناورات أو قتال ومحتوى المراسلات التي تمت بين مختلف الأطراف المعنية، تغفل هذه المصادر ذكر أى شيء من هذا القبيل عن الجانب الجزائري. بل إن هذه المصادر لا تذكر أى معلومة عن الجانب الجزائري إلا إذا كانت تلك المعلومة تعزز وجهة النظر الموالية لفرنسا أو تظهر جانباً من جوانب تفوقها.

وعلى الرغم من أن الدارس لهذه المصادر قد يخرج بصورة أكثر توازناً لبعض جوانب تاريخ احتلال الجزائر في حالة استخدامه للمنهج العلمي السليم والروح الناقدة الفاحصة ، كما قام بذلك أكثر من مؤرخ ، إلا أن الحاجة تظل باقية للحصول على وثائق أخرى غير فرنسية تستخدم كضابط

للمصادر والمراجع الفرنسية . ومن هذا القبيل الوثيقة التي عثرنا عليها في دار الوثائق الأمريكية ونقدمها في هذا البحث . والوثيقة عبارة عن تقرير مطول كتبه قنصل الولايات المتحدة الأمريكية في مدينة الجزائر ، هنري لي وهو مؤرخ معروف ، إلى وزير خارجيته في واشنطن بعد عشرة أيام من الاحتلال الفرنسي لمدينة الجزائر . والتقرير مثير للاهتمام لأكثر من سبب ، فهو يعطي وصفاً شبه محايد لحادثة الغزو ويضيف معلومات جديدة حول تلك الحادثة ويفند بعض الادعاءات الفرنسية التي شاعت منذ أيام الغزو حتى الآن . وقد يكون أهم ما في هذه الوثيقة من وجهة نظرنا هو إبراز ما يمكن أن تضيفه الوثائق غير الفرنسية من معلومات وتلقيه من ضوء على العديد من قضايا تاريخ الجزائر الحديث .

وصف الوثيقة :

الوثيقة كما ذكرت عبارة عن مذكرة مطولة بعث بها قنصل الولايات المتحدة الأمريكية في مدينة الجزائر السيد هنري لي إلى وزير خارجية الولايات المتحدة مارتن فان بيرن[٨] بتاريخ ١٨٣٠/٧/١٥ ، أي بعد عشرة أيام من احتلال مدينة الجزائر من قبل الفرنسيين ، ويصف فيها خطوات وملابسات ذلك الاحتلال ، ويورد فيها ملاحظاته وتوقعاته عن أثر ذلك الاحتلال على مستقبل الجزائر . ولقد تم استلام تلك المذكرة في مقر وزارة الخارجية بواشنطن العاصمة بتاريخ ١٨٣٠/١٠/٣ أى بعد ثلاثة أشهر تقريباً استغرقتها في عبور المحيط الأطلسي ، والوثيقة موجودة الآن في دار الوثائق الأمريكية في واشنطن العاصمة[٩] ، ضمن مجموعة أخرى من ارساليات قناصل الولايات المتحدة في الجزائر في مجموعة سجلات وزارة الخارجية رقم ٥٩[١٠] .

والوثيقة مكتوبة على سبع أوراق كبيرة كل ورقة من وجهين وبذلك يكون عدد صفحاتها ١٤ صفحة من مقاس٢٣ × ٣٨ سم ، وتحتوي كل صفحة على ٣٣ سطراً تقل أو تزيد أحياناً . ولقد كتبت بخط لا بأس به

حسب أسلوب الخطوط الإنجليزية المشبوكة في بداية القون التاسع عشر . وهي كلها مكتوبة بالحبر الأسود بخط واحد نعتقد أنه خط كاتب القنصلية ، حيث إننا لاحظنا الخط نفسه على رسائل أخرى صادرة من القنصلية نفسها موقعة من أشخاص آخرين خلاف السيد «لي» نفسه . وتعاني الوثيقة من ثقب في منتصف الورقة الأولى أضاع بعض الكلمات من الصفحتين الأولى والثانية ، ولكن السياق يجعل الكلمات معروفة .

كاتب الوثيقة :

كاتب الوثيقة هو « هنري لي » قنصل الولايات المتحدة الأمريكية في الجزائر في الفترة من ١٨٢٩ وحتى ١٨٣٠ وهو رجل من عائلة أمريكية مرموقة ، متعدد المواهب ، عمل بالسياسة لفترة طويلة انتخب خلالها عضواً في مجلس نواب ولاية فرجينيا ، وعمل لفترة كمساعد لاندرو جاكسون أثناء حملة الأخير الانتخابية للفوز بمنصب رئيس الجمهورية . وعندما حصل جاكسون على ذلك المنصب كافأ « لي » على جهوده بأن عينه قنصلاً للولايات المتحدة في الجزائر . كما سبق لهنري لي أن التحق بالقوات المسلحة الأمريكية حيث حصل على رتبه رائد وشارك في الحرب الأمريكية البريطانية في سنة ١٨١٢ . ولقد كان له كذلك باع يذكر في مجال الدراسات التاريخية إذ له عدة كتب ومقالات في التاريخ الأمريكي والأوروبي منها كتاب عن حرب الاستقلال الأمريكية [١١] وآخر عن نابليون[١٢] .

أسلوب الوثيقة :

يتسم أسلوب الوثيقة بالصعوبة والتعقيد ، إذ تزخر بالجمل الطويلة الملتوية والكلمات الحوشية والقديمة . ويكثر كاتبها من الاستطراد واستخدام الجمل الاعتراضية . ولتخفيف أثر ذلك الاستطراد يعمد الكاتب إلى وضع شرطتين متتاليتين في أول وآخر الجمل التي يعتقد أنها خارجة عن صلب

الموضوع . ولقد أبقيت على تلك الشرطات في النص المترجم طالما سمح بذلك استقامة المعنى .

ولدى ترجمة الوثيقة حاولنا المحافظة على أسلوبها بقدر المستطاع ، على ألايكون ذلك على حساب إيضاح المعنى الذي هو الهدف الأساسي من الترجمة . بل إننا حين الحاجة قمنا بإضافة بعض الكلمات ، التي وضعناها بين أقواس لزيادة الوضوح . كما لم نثقل النص أو الترجمة بالحواشي أو الشروح إلا ما كان ضرورياً لاغنى عنه .

محتوى الوثيقة :

يبدأ السيد « لي » مذكرته بالحديث عن قرار عزله من منصبه ، الذي أتى بسبب امتناع الكونغرس عن المصادقة على تعيينه قنصلاً للولايات المتحدة في الجزائر (١٣) ، ثم ينتقل رأساً لوصف الأحداث التي حدت به للكتابة ، وهو يشير إلى رسالة سابقة حول الموضوع نفسه ، كان قد بعث بها إلى واشنطن ثم يتابع سرد الأحداث وتحليلها بادئاً بوصف الإنزال البحري الذي قام به الفرنسيون على شاطىء سيدي فرج في ١٤ يونيه. ويتابع وصف تقدم القوات الفرنسية من سيدي فرج إلى الجزائر واصفاً حركات القوات الفرنسية في تلك الفترة بأنها تفتقد روح الجرأة والإقدام التي كانت تميز القوات الفرنسية في السابق . وهو هنا يعزو ذلك إلى حذر وحيطة الجنرال بورمونت قائد الحملة الذي كان مصراً على اتخاذ كل الاحتياطات اللازمة لتأمين قواته وضمان نجاحها في تحقيق أهدافها ، ولقد جعله ذلك يستغرق خمسة عشر يوماً للتقدم من البحر إلى برج مولاي الحسن ، على مشارف المدينة ، على الرغم من سهولة الطريق وضعف المدافعين عنه ، وقبل أن يشرع في وصف العمليات الحربية يحاول تقدير القوات المتحاربة. ثم ينتقل إلى وصف العمليات الحربية، وهو هنا يقدم وصفاً دقيقاً للعديد من جوانب الحملة على الجزائر لا نجد نظيراً له في أي من المصادر المعاصرة . فهو يصف المقاومة الجزائرية لتقدم الفرنسيين بالعنف والضراوة . وبينما نجد

المصادر المتأخرة تعطي أهمية بالغة لمعركة أسطى والى ، نجده يمر بها مروراً عابراً ويبرز حقيقة استمرارية المقاومة طوال فترة الحملة ، وكون الجزائريين لم يفقدوا العزم من أول انتكاسة، بل كانوا في كل مرة يدحرهم فيها الفرنسيون يعاودون تجميع قواهم ويحاولون ضرب الفرنسيين من جديد . وفي الصفحة الرابعة من الوثيقة يتوقف الكاتب عن وصفه للمعارك لكي يعطي وزير الخارجية صورةعن وضع العاملين في القنصلية الأمريكية وغيرهم من القناصل الأجانب وسط ظروف الحرب فيقول إن القناصل الأجانب وأتباعهم اتخذوا من منزل القنصل الأمريكي الصيفي ، وهو منزل حصين يقع على مرتفع خارج مدينة الجزائر ، مقراً لهم وقاموا بتحصينه وتزويده بالمؤن والماء بعد استئذان الداي في ذلك . والمثير للاهتمام هنا هو ما يذكره الكاتب من موقف كل من المتحاربين من هذه المجموعة الأجنبية المتحصنة . إذ بينما قام الجزائريون باحترام حيادهم وعدم التعرض لهم ، نجد أن الجيش الفرنسي يسبب لهذه المجموعة الغربية سلسلة لا حصر لها من المصاعب . إذ ما أن وصل الجيش الزاحف إلى مركزهم الحصين حتى قام بوضع اليد عليه واستخدامه كمركز للمراقبة رغم احتجاج السفراء الذين تعرضوا وعوائلهم للقصف المدفعي من قبل الجزائريين . ورغم أن هؤلاء قاموا بإعطاء الفرنسيين كمية كبيرة من الأغذية كما قاموا باستضافتهم باستمرار إلا أن الجنود الفرنسيين قاموا بسلسلة طويلة من أعمال النهب والسلب والاعتداء التي وصلت إلى حد ارتكاب جرائم القتل ضد أشخاص عزل من السلاح.

وعندما يعود الكاتب لمتابعة سرد الحوادث يقوم بوصف حصار برج مولاى الحسن ومدينة الجزائر من قبل الفرنسيين ثم يناقش قضية أثارت اهتمام العديد من مؤرخي الجزائر إلا وهى فعالية البحرية الفرنسية ومدى التنسيق بينها وبين الجيش الموجود على البر . وفي هذا المجال يقرر « لي » بلا غموض أو إبهام أن دور البحرية في الهجوم كان ضئيلاً وغير مشرف، وأن التنسيق بينها وبين الجيش ، بل وداخل القوة الفرنسية ككل كان في غاية الرداءة . وهو يورد عدة أدلة على ذلك لعل أهمها وصفه التفصيلي المدعم

بالإحصائيات للمحاولتين اللتين قامت بهما البحرية الفرنسية لمهاجمة الدفاعات الجزائرية الساحلية وفشلها الذريع في ذلك . ولكن القوات الفرنسية سرعان ما تلافت ذلك الفشل بتركيز جهودها بالتقدم على قلعة برج مولاى الحسن وقصفها قصفاً عنيفاً ، لم تجد معه بسالة المدافعين عنها ، إذ سرعان ما سقطت تلك القلعة وتقدمت القوات الفرنسية لاحتلالها ، وبذلك أصبحت مدينة الجزائر تحت رحمة المدافع الفرنسية المشرفة عليها من القلعة والمرتفعات المجاورة . وهكذا لم يجد الداى بدا من أن يستعين بالقنصل البريطاني الذي قام بالسعي بين الطرفين لعقد اتفاق يسلم بموجبه الداى مدينة الجزائر للفرنسيين مقابل السماح له ولأفراد عائلته ومن يرغب من الأتراك بمغادرة الجزائر مع أموالهم وممتلكاتهم ، ويذكر كاتب الوثيقة هنا عدد الأتراك المغادرين للجزائر والثروة التي أخذها الداي معه عند المغادرة إلى ماهون ، ولكن لا يفوته أن يشير إلى المبالغ الطائلة والمعدات والذخائر التي استولى عليها الفرنسيون من حكومة الإيالة.

ويخصص الكاتب الجزء الأخير من الوثيقة للحديث عن مغزى الاحتلال الفرنسي ، وعن نوايا الفرنسيين تجاه الجزائر، وعمّا قام به الفرنسيون منذ البداية لترسيخ حكمهم في الجزائر عن طريق تعيين مجالس محلية للحكم وإرسال حملات فرعية للاستيلاء على عنابة ووهران ، ويؤكد على سذاجة الفرنسيين فيما لو اعتقدوا أن احتلالهم لمدينة الجزائر يعني احتلالهم لكافة أنحاء الإيالة. ثم لا يفوته في ختام مذكرته أن يذكر كلمة طيبة عن الحكومة الجزائرية السابقة والتي يبدو أنه أدرك أنها زالت إلى غير رجعة .

تحليل الوثيقة :

لعل أول ما يلفت الانتباه في الوثيقة هو تذبذب عواطف كاتبها واضطرابه الذي لا يخفيه الأسلوب الأدبي المفتعل والمشحون بالجمل الطويلة المعقدة والكلمات الغريبة والأساليب البلاغية . فالرجل قد شهد لتوه وشارك

في حدث تاريخي يدرك أهميته القصوى ويلمس تعدد دلالاته ، وتبعث كل واحدة من هذه الدلالات في نفسه انفعالاً مختلفاً . فإحساسه بأن الجزائر قد وقعت ضحية لعدوان فرنسا ، جعله يتعاطف مع الجزائر وأهلها الذين استبسلوا في الدفاع عنها ، ولكن ذلك العدوان ما هو إلا بداية للهيمنة الأوروبية على الشرق الذي أخذت قواته تتراجع أمام الزحف الأوروبي الغربي ، وهذا ما أثلج صدر صاحبنا وبعث في نفسه شعوراً بالفخر والاعتزاز لم يملك إلا أن يعبر عنه بحماس شبه ديني . وليس هنالك من شك في أن تذبذب الكاتب، ما هو إلا انعكاس لتذبذب موقف الولايات المتحدة الأمريكية ذاتها . فهذه الدولة كانت قد نالت منذ فترة قصيرة استقلالها من براثن الاستعمار البريطاني ، ولكنها ما كادت تقف على عودها حتى بدأت بالتحول إلى دولة توسعية استعمارية .

أما من حيث المحتوى فقيمة الوثيقة فيما تقدمه من معلومات ، فكاتبها يلقي الضوء على العديد من القضايا التاريخية المتعلقة باحتلال الجزائر ، والعديد من المعلومات الواردة تعطي الباحث سبباً لإعادة النظر في بعض المسلمات حول الموضوع . وسنركزفيما يلي على مثل هذه القضايا متتبعين كلا منها كما وردت في الوثيقة .

أولاً : حجم قوة الدفاع الجزائرية :

يؤكد الكاتب في هذه الوثيقة على أن الجيش الجزائري المدافع ، كان في كافة المعارك التي خاضها ضد الفرنسيين ، أقل عدداً من الجيش الفرنسي المقابل له . وهي معلومة مخالفة تماماً لما هو سائد في المصادر والمراجع الفرنسية . فلقد درجت كافة هذه المصادر على إيراد الإحصاء الرسمي للقوات الفرنسية وهو ٣٧,٦٠٠ مقاتل[١٤] وتقدير القوات الجزائرية بخمسين ألف مقاتل[١٥] وبذلك تكون القوة الجزائرية متفوقة على القوات الفرنسية بأكثر من عشرة آلاف مقاتل.

ولقد تبع المؤرخون الفرنسيون المحدثون المؤرخين القدامى في تأكيد تفوق العدد الجزائري دون أدنى مناقشة ، على زعم أن الفرق في العدد لا يدعو إلى التساؤل أو الاستغراب إذ من المفروغ منه أن تكون القوات الفرنسية وهي الأفضل من ناحية التكنولوجيا والتسليح قادرة على مواجهة أعداد أكبر منها من الجزائريين ذوي المستوى العسكري المتخلف .

والغريب في الأمر أن المصادر الفرنسية بينما تستنجد بالإحصائيات الرسمية لتوثيق عدد القوات الفرنسية ، لاتعطي أى مصدر لتقديرها لعدد القوات الجزائرية سوى الروايات التي تناقلها الفرنسيون المشاركون في القتال ، وهو مصدر أقل ما يقال فيه أنه مصدر متحيز . ويبدو أن هؤلاء قد نقلوا هذا التقدير لعدد القوات الجزائرية من رواية شفوية تناقلها الأوروبيون الموجودون في الجزائر ، ونجد لها صدى في الوثيقة التي بين أيدينا ، ورغم أن التوثيق الرسمي قد أثبت خطأ هؤلاء في تقديرهم لعدد القوات الفرنسية ، إلا أن روايتهم عن عدد الجيش الجزائري ظلت دارجة الاستعمال في المصادر الفرنسية، لأنها تعطي الانطباع بالتفوق العددي للقوات الجزائرية . وهو ما ينفيه « هنري لي » بكل وضوح ، وذلك على الرغم من مبالغته في أعداد كل من الطرفين. فهو يذكر أن عدد القوات الفرنسية كان ستين ألفاً بينما يقدر عدد القوات الجزائرية بأنه أقل من خمسين ألفاً. وهذه المبالغة بالأرقام لا تقلل من حقيقة عدم التكافؤ العددي بين الطرفين المتحاربين على حساب الجانب الجزائري. بل أن هذه المبالغة في تقدير عدد القوات الفرنسية قد تعطينا الوسيلة لتقدير عدد القوات الجزائرية.

إذ تدلنا الوثائق الفرنسية على أن مجموع قوات الحملة الفرنسية على الجزائر كان على وجه التحديد ٣٧,٦٠٠ رجلاً وكان « لي » قد قدر عدد تلك القوات بستين ألف رجل وبذا يكون زاد في عددها الحقيقي بنسبة ٢٣/٣٧ . ولو افترضنا أن تقديره للقوات الجزائرية كان مبالغاً فيه بالنسبة نفسها يكون التقدير الصحيح لعدد القوات الجزائرية هو ٣٠,٨٠٠ رجل[١٦] أو حسب تعبيره «لم يصل في أي وقت من الأوقات إلى » ثلاثين ألفاً وثمانمائة رجل .

ثانياً : نطاق القتال بين الجزائريين والفرنسيين :

تركز معظم المصادر الفرنسية عند حديثها عن المعارك التي سبقت احتلال مدينة الجزائر على اشتباكين فقط، وهما معركة أسطى والى ، والاشتباك المدفعي الذي جرى عند برج مولاى الحسن . وتصف هذه المصادر كلا الاشتباكين بالسرعة وقصر المدة , ولكن الوثيقة هنا تعطينا صورة مختلفة إلى حد ما عن الرواية الفرنسية ، إذ أنها تشير إلى ثلاث معارك بين القوات الفرنسية والجزائرية قبل موقعة برج مولاى الحسن ، وليس معركة واحدة . فالمعركة الأولى هي التي حدثت في أسطى والى بتاريخ ١٩ يونيه ، أما الثانية فلقد حدثت في المرتفعات التي تبعد عن مدينة الجزائر بأربعة أميال وذلك يوم ٢٤ يونيه ، أما المعركة الثالثة فكانت في موقع المعركة الثانية نفسه وذلك في يوم ٢٩ يونيه . ويؤكد هذا المراقب الأمريكي إن حدة القتال في المعركتين الثانية والثالثة لم تكن تقل ضراوة عن القتال في أسطى والى . من ناحية أخرى يؤكد « هنري لي » على كون الاشتباك المدفعي عند برج ملاى الحسن، لم يكن هو الاشتباك الوحيد بل سبقه اشتباك آخر في يوم ٢٩ يونيه يصفه، بأنه « في غاية الشدة والدموية » .

ثالثاً : عدم فعالية البحرية الفرنسية :

لقد أشار بعض المؤرخين للغزو الفرنسي في كتاباتهم إلى هذه النقطة بصورة عابرة ،ولكن «لي» يعطينا في وثيقته صورة حية لهذا الجانب المهم من جوانب الحملة الفرنسية على مدينة الجزائر . فهو يصف وصفاً دقيقاً الهجومين اللذين قامت بهما تلك البحرية ، والسفن التي اشتركت فيهما والتي كانت تضم سفينتين بخاريتين ، ورغم قيام تلك السفن بقصف مركز وكثيف للتحصينات الجزائرية ، إلا أن فعالية ذلك القصف كانت معدومة ، وهنا لا بد من القول إن تعليل الكاتب لذلك الفشل كان غير موفق. فهو يعزو ذلك الفشل لعدم مهارة الفرنسيين عموماً في الفنون البحرية ، وتخاذل

الأسطول الفرنسي وعدم رغبته أو استطاعته الاقتراب من الشاطىء، بينما السبب في رأيي هو حصانة الدفاعات الجزائرية وتسليحها الجيد . إذ يجب ألا يغيب عن الأذهان أن تلك التحصينات وتسليحها كان قد تم تجديدهما بعد حمله اللورد اكسموث على مدينة الجزائر في أغسطس ١٨١٦[١٧]. ويبدو أن ذلك التجديد قد قام بالفعل بتحويل المدينة إلى حصن يصعب اختراقه من جهة البحر . وقد يكون من سخرية القدر أن يكمن في هذا النجاح سر سقوط الجزائر في يد الفرنسيين . إذ قامت الخطة الفرنسية على مهاجمة الجزائر من الخلف ولو كان موقع سيدي فرج أو قلعة برج مولاي الحسن بحصانة الواجهة البحرية نفسها لكان مصير الهجوم الفرنسي على الجزائر المصير الفاشل نفسه للهجمات الأوروبية السابقة . ولكن يبدو أن اطمئنان حكام الجزائر لحصانة المدينة وركونهم لذلك جعلهم يفقدون الحذر ويتكاسلون عن بذل الجهد المناسب للرد على التهديد الفرنسي الذي كانوا على علم كامل به وبتفاصيله . فهم لم يقوموا باستدعاء القوات النظامية من وهران وقسنطينة، أو زيادة عدد القوات النظامية الموجودة في الجزائر، إذ يخبرنا الكاتب أن الداي قد اعتمد على عرب وبربر الجزائر غير النظاميين، كما لم ينفق ما يلزم من خزائنه المليئة بالذهب، تلك الخزائن التي وقعت فريسة في يد الفرنسيين، على وسائل الدفاع وتجنيد الجيوش. وتتفق هذه الرواية التي يوردها هنري لي مع تلك التي أوردها كل من حمدان بن عثمان خوجة والحاج أحمد باي[١٨].

رابعاً : انتقال الجزائر من الحكم العثماني إلى الحكم الفرنسي :

إن ما يثير الدهشة حقاً في هذه الوثيقة هو إدراك كاتبها لخطورةما أقدم عليه الفرنسيون وغفلة الاخيرين بهذا الخصوص إذ بينما اعتبر الفرنسيون استيلاءهم على مدينة الجزائر وكأنه احتلال لكافة أنحاء الإيالة[١٩] ، نجد لي يصرح بأن سلطة الفرنسيين لن تتجاوز مدى بنادقهم وفي هذا التصريح دليل واضح لمدى إدراك لي لطبيعة الحكم في الجزائر ومعرفة بأحوالها السياسية في ذلك الوقت. فهو يدرك أن سلطة حكومة الداي لم تكن نابعة من التسلط

الفعلي أو القسري لتلك الحكومة على المجموعات الجزائرية المختلفة، بل كانت تلك السلطة مستمدة من قناعة دينية لدى الجزائريين واعتراف منهم بشرعية الحكومة العثمانية. وهو ما أسماه بسلطان الفتح القديم[٢٠] وذلك على عكس الفرنسيين الذين نظروا إلى السلطة العثمانية كسلطة استعمارية لن يجدوا صعوبة في استبدالها والحلول محلها. وهو لذلك يتنبأ بأن احتلال بقية الجزائر ستكون مسألة مختلفة تماماً عن احتلال المدينة ولقد أثبتت الأيام صحة وجهة نظره.

خامساً : ممارسات القوات الفرنسية :

تعطي الوثيقة إحساساً عارماً بالفوضى والاضطراب اللذين رافقا وصول القوات الفرنسية إلى ضواحي مدينة الجزائر. فإلى جانب نهب البيوت والممتلكات التي بقيت سليمة وآمنة طوال فترة سيطرة الجزائريين رغم خلوها من السكان، نجد الكاتب يقرر أن وحشية الفرنسيين تجاوزت وحشية البرابرة. فهم يمارسون دون اعتراض من رؤسائهم أعمال السلب والنهب واتلاف الممتلكات وازهاق الأرواح في كافة البيوت العائدة للعرب واليهود وهي حقيقة أغفل ذكرها معظم مؤرخي الحملة من الفرنسيين[٢١] رغم تأكيدها من قبل ضحايا الغزو الفرنسي سواء في الجزائر أو خارجها، والسبب في ذلك عائد لكون الجيوش الفرنسية، ومنذ الحروب النابليونية، اتبعت لنفسها نهب المناطق التي يمرون بها كمصدر أساسي لتموين الأفراد والضباط [٢٢].

وقد تحول هذا الأسلوب إلى تقليد متوارث ذي قواعد وطرق تعترف بها القيادة الفرنسية وتساعد على تنفيذها. ومما يؤيد هذا الرأي إشارة القنصل العابرة إلى عدم وجود تموين كاف للقوات الفرنسية، واعتماد هؤلاء من جنود وضباط، على مخزون القناصل الأجانب من طعام وماشية. وإذا كانت حالة الجنود المختارين للتمركز في مكان حساس كالذي تواجد فيه القناصل على تلك الدرجة من سوء التموين، فمن المعقول أن نخمن أن حالة بقية القوات

كانت كذلك، إن لمن تكن أسوأ مما حدا بهذه القوات أن تعتمد على النهب لتأمين حاجاتها. ولذا ليس من المعقول أن نتوقع من الضباط أن يمنعوا جنودهم من السلب إذ لم يكن للجميع ما يأكلون إلا الطعام المسلوب.

والواقع أن ما ذاقه الجزائريون من أعمال سلب ونهب في بداية الاحتلال، لم يكن إلا جرعة بسيطة بالمقارنة مع ما تبعه، إذ توسع الفرنسيون فيما بعد في استخدام أسلوب النهب لإعالة أنفسهم وأيضاً لتدمير القاعدة الاقتصادية للقبائل الجزائرية، عن طريق حملات موسعة، كان يقوم بها الفرنسيون في مختلف أنحاء الجزائر وأطلقوا عليها اسم «الرزية» أو بصورة أدق «الغزية» التي جرت على الجزائر وأهلها العديد من المصاعب والآلام[٢٣].

سادساً: الفرنسيون والقناصل الأجانب:

لعل أغرب' بل وأهم ما في الوثيقة هو ما تقوله عن تصرف الفرنسيين تجاه القناصل الأجانب وبيوتهم وممتلكاتهم ، فقناصل أمريكا والدنمرك والسويد ونابلي يقررون حيادهم وحياد بلادهم في النزاع القائم بين الجزائر وفرنسا ويقوم هؤلاء بالتجمع في بيت محصن تحت حماية العلم الأمريكي وقيادة القائم بأعمال القنصلية الأمريكية ، وتوافق الحكومة الجزائرية على ذلك وتحترم رغبة هؤلاء وتحافظ على المكان الذي اختاروه رغم كونه مركزاً استراتيجياً ، ولكن ما أن يظهر الفرنسيون حتى يضعوا أيديهم على ذلك البيت المحمي ، ولا تنجح مغالطات كاتب المذكرة في إخفاء حقيقة أن الفرنسيين قد استولوا بالفعل على البيت ، احتلوه بجنودهم واستخدموه كنقطة مراقبة لهم، وسخروا أهله لخدمتهم وإطعامهم والترفيه عنهم، دون أن يأبهوا بأي احتجاج . بل وبينما كان هؤلاء القناصل وزوجاتهم يقدمون للضباط الخراف والمرطبات ويسهرون على راحتهم قام جنود هؤلاء الضباط باقتحام بيوت القناصل ونهبها وقتل بعض من كانوا فيها .

إن ما يبعث على الدهشة في كل هذا ، هو أن فرنسا كانت قد شنت

حملتها على الجزائروقامت باحتلالها بحجة أن داي الجزائر، قد أهان قنصلها لديه، عندما قام بضربه بمنشة ذباب أو مروحة كان يحملها الداي[٢٤]. وكان رد فرنسا على تلك الإهانة التي لحقت بقنصلها هو حملة عسكرية لم تنته إلا باحتلال الجزائر والواقع أن هذا التعليل لاحتلال الجزائر، يتجاوز الأجهزة الفرنسية الرسمية إلى العديد من الكتابات التاريخية الفرنسية بل والعربية، رغم اعتراض العديد من الأفراد على معقولية هذا التعليل بل وسخافته. والوثيقة التي بين أيدينا دليل جديد على صحة رأي المعترضين.

إننا نجد هنا ليس فقط إهانة لقنصل واحد بمروحة بل إهانات واعتداءات متكررة على قناصل أربع دول، دون أن ينتج عن ذلك حتى ولا احتجاج رسمي بسيط من أي بلد أوروبي أو الولايات المتحدة التي نرى قنصلها يشكو لوزير خارجيته مر الشكوى من عنف وهمجية الفرنسيين. ألا يدعونا كل ذلك لرفض القشور والدخول في اللباب والبحث عن أسباب الحوادث التاريخية في المتغيرات الطويلة الأمد، بدلاً من الجري وراء متاهات التاريخ الدبلوماسي؟.

الترجمة العربية للوثيقة

الجزائر في ١٥ يوليو ١٨٣٠
سيدي،

منذ بضعة أيام، انتهزت فرصة [سفر] غير متوقعة عن طريق جبل طارق، لأعلمك بأن إشاعة محتملة الصحة في محتواها وظروفها، قد وصلت إلى هنا من ماهون[٢٥]، مفادها أنه سيتم استبدالي عن قريب بالمواطن المحترم الكوماندربورتر. إنني لا أملك أمام هذه العدالة الصارمة إلا أن انحنى بخضوع وتواضع، يحدوني الأمل بأن سلوكي هنا لم يستحق هذه الدرجة من السخط، واعتقادي، مهما كنت قليل الأهمية في نظر سلطان بلادي وغير مستحق لتقديرها، بأن ليس هنالك من يفوقني في حبي البار لبلادي وتقديسي لتربتها، لأخلاقها، لحريتها ولقوانينها. إنني أقدم هذا الحب الجياش المتقد كضمانة على أنني، عندما تدعوني الظروف التي يرزح تحتها هذا البلد للعمل، سوف أبذل في خدمة وطني، في وضعي الحالي بعد تنحيتي من منصبي، الجهد الصادق نفسه الذي كنت أبذله قبل معرفتي بخبر تلك التنحية. ولكن يبدو أن خلع الداي[٢٦] وترحيله [إلى] بلد[٢٧] بعيد سوف يعطل إن لم [يلغ] تماماً[٢٨] الواجبات الأساسية التي كان منصبي مسؤولاً عنها.

في يوم ٥ الماضي[٢٩] كان لي شرف إبلاغكم بخبر سقوط هذه المدينة واحتلالها من قبل الجيش الفرنسى بقيادة الجنرال بورمونت[٣٠]، وذلك بعد سلسلة من العمليات المتنوعة والناجحة والتي كانت قد بدأت بنزول ذلك الجيش في منطقة «سيدي فرج» في يوم ١٤ يونيه، وانتهت لتوها. ولو كان من ضمن واجباتي أن أصف تلك الحملة بسمة معينة لأشرت إلى أن القائد الفرنسي، على الرغم من أنه لم يضرب مثالاً لذلك المزيج من الإقدام

والسرعة والابتكار الذي اعتاد على رؤيته الدارسون والممارسون لأساليب الحرب الفرنسية في الفترة الأخيرة، إلا أن قراراته، كانت على قدر كبير من الجرأة والنشاط المشوب بالحذر الذي لا يترك شيئاً لتقلبات الحظ. فكما أنه في كل مرة شن فيها الهجوم دفع بأعدائه إلى الخلف، فإنه في كل مرة توقف فيها زحفه قام بتحصين مواقعه، كما أنه لم يقم أبداً بإطالة خط عملياته من دون أن يوفر لقاعدته المزيد من الأمان. يمتد الطريق من سيدي فرج إلى مدينة الجزائر مسافة تبلغ حوالى ١٢ ميلاً، يسير خلالها بحذاء قاعدة النتؤ الجبلي المنتهي عند رأس كسكين، الذي يقع إلى الغرب من المدينة بخمسة أميال، وإلى الشرق من سيدي فرج بتسعة أميال. ورغم كون هذا الطريق كثير التلال في معظم أجزائه وتغطيه الشجيرات الشوكية، وتتناثر فوقه مجاميع من أشجار الصبار والصمغ ـ إلا أنه لا تعوقه الغابات أو الأنهار أو الجبال مما يسمح للخيالة والمدفعية بالسير عليه بدون صعوبة كبيرة، كما أنه من الممكن الإشراف عليه كله من مكان عال. ولكن على الرغم من أن الجنرال بورمونت لم يواجه إلا مقاومة غير نظامية ولا ثابتة من العرب والبربر، إلا أنه استغرق خمسة عشر يوماً للوصول إلى مرمى مدفع من القلعة التي تكوّن نقطة الدفاع الرئيسي عن مدينة الجزائر من جهة البر ـ وطوال تلك الفترة لم يجابهه أبداً عدد يفوق عدد جنوده، بل كان عدد من يواجههم غالباً أدنى من عدده. يقال أن عدد جنوده البرية يبلغ ٤٥ ألف رجل إلى جانب مساندة الأسطول الذي يحمل ١٥ ألف بحار. و[لا][٣١] اعتقد أن عدد القوات الفوضوية التي واجهته قد وصل في أي وقت من الأوقات إلى ٥٠ ألف رجل. في يوم ١٩ [يونيه ١٨٣٠] تقدم من [سيدي][٣٢] فرج في الصباح الباكر وباغت معسكر [الآغا][٣٣] في أسطى والى، على مسافة حوالى ثلاثة أميال على طريق الجزائر وقامت قواته بالقضاء على الكثيرين من الأتراك بالسلاح [الأبيض][٣٤] وأجبرت الآخرين على الفرار، كما غنمت كميات من الحاجيات الثمينة والمهمات العسكرية. وفي يوم ٢٤ [يونيه ١٨٣٠] قام العدو بتجميع قواته أمام جبهته وعلى جناحيه[٣٥]، فتقدم [بورمونت] إلى الأمام مرة أخرى في حوالى الساعة

الثامنة في تشكيل من ثمانية طوابير دافعاً إلى الخلف بقوات الآغا الضارية ولكن غير المنتظمة ثم قام بالاستيلاء على المعسكر الثاني لذلك القائد [الجزائري]، واحتلال سلسلة المرتفعات التي أمامه على مسافة أربعة أميال من البلد. وفي تلك المرة كما في المرات السابقة التي هجم فيها الجيش الفرنسي، فر العرب والبربر من أمامه، تاركين مدينة الجزائر وراءهم، واتجهوا إلى الشرق منها على امتداد الساحل. بعد ذلك الهجوم احتفظ [بورمونت] بهذا الموقع الجديد، وقام بتحصينه وتقوية خطوط اتصالاته مع الأسطول، كما قام أيضاً بجلب الذخائر وقطع المدفعية، واستمر على ذلك العمل حتى صباح يوم ٢٩ [يونيه ١٨٣٠]، مكتفياً بصد مناوشات [الجزائريين] والرد على قصف الآغا المدفعي. ولقد كانت المناوشات والقصف في غاية الشدة والدموية. وفي فجر ذلك اليوم وبعد أن جرح أكبر أولاده الأربعة الذين كانوا يرافقونه جرحاً قاتلاً، قام بشن هجوم نجح بعده بهزيمة أعدائه هزيمة ساحقة، وللمرة الثالثة قام هؤلاء الأعداء بالفرار بعيداً عن المدينة تاركين الدفاع عنها لتحصيناتها فقط. وعلى الرغم من أني لم أستطع مقاومة التعاطف مع الجانب المتعرض للغزو في هذه الحرب، ولم أقدر إلا أن أشفق على المقاومة الباسلة ولكن غير الفعالة التي قاوم بها هؤلاء بشجاعة وبراعة جنرالات الجيش الفرنسي وقائده، إلا أني لا أذكر أبداً أنني شعرت في حياتي بمثل ذلك الفخر والزهو بالانتصار الذي غامرني عندما وقع بصري للمرة الأولى من شرفة موقعنا، على الفرق المسيحية المنتصرة وهي تدفع أمامها حشود البرابرة، وتتوج بوجودها المرتفعات المطلة على الجزائر ـ بينما راياتها المألوفة تخفق بكبرياء أمام الريح وأسلحتهم المنتصرة تلمع تحت شمس الصباح ـ كما كنت قد تشرفت بإخباركم في رسالتيّ المؤرختين في ١٢ إبريل و٩ مايو، إن قناصل إسبانيا ونابلي والدنمارك والسويد مع من تبقى من عائلاتهم في هذا البلد خلال هذه الحرب، وكافة المسيحيين مع عدد من اليهود التابعين لهم، قد قاموا بالتجمع في منزل كبير ومحصن، كما نظموا أنفسهم على شكل حامية تحتمي بالعلم الأمريكى، وصوتوا بالإجماع على وضع أنفسهم تحت إمرتي. ومنذ اللحظة

التي قام بها خطر الغزو المنتظر باجتلاب جماعات العرب والبربر من السهول والجبال القريبة من الجزائر تلك الجماعات التي أسرف الداي والانكشارية بالاعتماد على عددها المبالغ فيه وشجاعتها المتعصبة، تعرضت بيوت القناصل الأربعة المذكورين إلى تعديات وحوادث نهب، استحال معها السكن فيها كما أن منزلي رغم موقعه الذي جعله أقل تعرضاً للتعدي، لم يسلم بأي حال من الأحوال. لذا اضطررنا في يوم ٢٦ مايو لأن نترك منازلنا العديدة، وأن نتجه إلى القلعة التي كان الداي قد وافق على اختيارنا لها وتحضيرنا لها لكي تحمينا وتابعينا في منطقة محايدة تؤوينا حتى تمر عاصفة الحرب، ويهدأ النزاع من حولنا. وتجد طي هذه الرسالة مجموعة أوراق تحوي نسخاً من دستورنا، وأول أمر أصدرته لتنظيم الحامية، ستشرح لك طبيعة رابطتنا، وتجعلكم تقدرون الخطر الداهم الذي تشكلت حاميتنا في ظله. ولكن يسرني أن أقول أن نتيجة عملنا هذا كانت حسنة للغاية. إذ بينما نهبت بقسوة كافة البيوت التي حولنا العائدة للعرب واليهود، وأزهقت الكثير من أرواح هؤلاء حافظنا نحن على سلامتنا التامة، ومع استثناءات بسيطة كنا دائماً في اطمئنان تام. ففي كل مرة دفع فيها تقدم الفرنسيين بالقوات التركية إلى جوار مكاننا، كنا نخشى أن تتحول مجموعتنا المسيحية الصغيرة إلى هدف مغري لانتقامهم وعدوانهم، وفي كل مرة تعود تلك القوات لمواجهة الفرنسيين، بدا من المحتمل أن تدفعهم ثقتهم بأنفسهم وجشعهم إلى محاولة الهجوم علينا، ولكن دفاعاتنا الجديرة بالاحترام وموقعنا الملائم، لم يقم فقط بحمايتنا من عنفهم، بل لقد سرنا أن نعلم بأننا قد تسببنا في حماية الكثير من الأسر التي كانت في جوارنا حتى قيام الفرنسيين باحتلال المنطقة. لقد حدث ذلك كما ذكرت سابقاً يوم ٢٩ [يونيه ١٨٣٠] وذلك عندما قام القائد الفرنسي بإرسال ثلة تحمل تأكيدات الاحترام والمساعدة، ولكن تقترح احتلال موقعنا لاحتياجهم له كنقطة مساندة لجناحه الأيسر. ورغم قبولي بامتنان لعروضه بالمساعدة والحماية، إلا أنني شعرت أن من واجبي أن أرفض التنازل عن مكاننا له، وأن أحافظ على الموقف الحيادي الذي تلتزم به الولايات المتحدة والدول والقناصل الذين كانوا تحت علمي،

تجاه فرنسا والجزائر، والموقف الودي تجاه الجزائر الذي تضفيه علينا أوراق الاعتماد الخاصة بكل منا. ولقد ذهبت إلى حد أن أطلب بألا يقوم باحتلال حتى المنطقة المحيطة بنا بقواته، وخصوصاً ألا يضع في تلك المنطقة بطارية مدفعية، كما كان قد لمح لذلك أحد ضباطه، حيث أن مثل ذلك العمل لا بد أن يتسبب في إطلاق النار علينا من مدفعية الداي الموجودة في الحصون وبذلك يضع عائلاتنا التي تضم السيدات والأطفال في خطر عظيم. ولقد دعمت طلبي بالإشارة إلى أن موقفنا المحايد قد حافظ عليه البرابرة بكل دقة، وبأني أرجو ألا تدعونا إجراءات الجنرال الفرنسي لأن نأسف على اقتراب جيش مسيحي منا. ويمكن القول أن ندائي ذلك أو فحص القائد الفرنسي الدقيق للموقع، قد حدا به لأن يصرف النظر عن إقامة بطارية المدفعية بالقرب منا، ولكن بدا من الضرورات العسكرية أن يقوم باحتلال المرتفع الذي تقع عليه حاميتنا. ولقد قام بذلك العمل الجنرال أشارد مع الفرقة التي كان يقودها، وعلى الرغم من أنني قد أبديت احتجاجي الشديد على ذلك العمل، إلا أنني لا أشك بأن تلك العملية قد أملتها أحكام الضرورة الحربية، وأشهد أنها قد تمت باعتدال وحذر. فلقد خصص الجنرال حامية من ٤٠ رجلاً لتتولى حمايتنا وعندما سمع بأن والدي ووالد البارون الملازم ليمان كانا يعرفان بعضهم بعضاً، خلال حرب الاستقلال الأمريكية، أمر ذلك الضابط بأن يتولى تلك الحامية. وعندما تمت تلك الاستعدادات وشرع الكثير من الضباط الفرنسيين من مختلف الرتب يترددون [على مكاننا] لكي يلاحظوا المكان ويمتعوا أنظارهم برؤية الأسطول والجيش والقلاع والمدينة من شرفتنا [المطلة على كل ذلك] جر علينا ذلك ما كنا نخشاه، ألا وهو انصباب قذائف القلاع التركية علينا، ولقد كادت واحدة من أولى تلك القذائف أن تقتل الجنرال أشارد نفسه. ولما لم يكن باستطاعتنا إزالة تلك القوة الفرنسية، أو رفض القيام بواجبات الضيافة تجاه ضباطها، بقيت مائدتنا وشرفتنا في ازدحام دائم، فالأولى كانت المائدة المسيحية الوحيدة داخل خطوطهم، والتالية كانت أكثر المناطق إشرافاً في المنطقة المحيطة بالجزائر. ولذا كانت النتيجة زيادة

عظيمة في مصاريف مؤسستنا، وتوجه العديد من القذائف وطلقات الرصاص ضدنا. أما المصاريف فنحن على ثقة من أن حكومتنا ستعوضنا عنها، وأما القذائف فلقد أنقذنا منها موقع القلعة الفريد بالنسبة للأرض المحيطة بها والمدافع المهاجمة، والذي جعل من المستحيل على أي قذيفة أن ترتفع الارتفاع الكافي لتصيب الموقع من دون أن تعبر من فوقه. ولكن على أية حال وَضَعنا تَعَرُّضنا [للقصف] في موقف غير سار وكانت السيدات في موقف مؤلم من يوم ٢٩ يونيه وحتى ٥ يوليو. إن من المؤسف أن ألاحظ هنا أن القوات الفرنسية قد أجرمت بارتكاب العديد من الفظائع التي قد تلائم المتوحشين، ولكن البرابرة الذين قاوموا الفرنسيين لم يصدر منهم أبداً مثل ما صدر من هؤلاء. ففي صباح ٢٩ [يونيه] وبينما كان الضباط الفرنسيون يتناولون المرطبات التي أعددناها لهم، قامت مجموعة من جنود هؤلاء الضباط باقتحام منزل قنصل نابولي والذي كان يرفرف عليه علم تلك الدولة، وقتلوا البستاني الذي يعمل عند القنصل وكان أوروبياً، وكاتب القنصل وكان يهودياً وابنة ذلك الكاتب، ولقد حاول الجنود الفرنسيون تبرير ذلك الهجوم الوحشي بالادعاء كذباً بأن البساتني واليهودي قاما بإشهار المسدسات عليهم. ولا يستطيع ضحايا هذه القسوة الآن تكذيب ادعاء هؤلاء الجنود. ولقد كان من الأرجح تبرير مثل هذه الأعمال بدعوى أن هذه الجرائم ارتكبت في فورة من فورات الدم وهيجان الفتح، بعيد قيام الفرنسيين بإزاحة العرب من آخر موقع لهم على أرض المعركة. ولقد كان من الممكن أن أصدق ذلك التبرير، لولا أن هؤلاء الجنود قاموا فيما بعد، وعن عمد مبيت، باقتحام منزلي السفيرين السويدي والدنماركي والسطو عليهما، حيث دمروا الكثير من المقتنيات الثمينة، وفي النهاية قاموا بالسطو على منزلي أنا أيضاً حيث لم يجدوا الكثير لكي ينهبوه. ومما استطعت أن أعرفه عنهم أقول إن ميولهم للنهب والسلب تفوق بكثير ميول البرابرة، ولم يحاول أحد الحد من تلك الميول ولا بحالة واحدة من المعاقبة. لقد تم ارتكاب تلك الجرائم في الفترة بين ٢٩ [يونيه]، و٥ يوليو، وهي فترة استغلها قائد هؤلاء الجنود في فتح الخنادق وتركيب بطاريات المدفعية قبالة

حصن مولاي الحسن [٣٦]، وهي قلعة مغرقة في القدم، وبالغة القوة، تشرف من علٍ على المدينة، وتكون دفاعها الرئيسي من جهة البر. ومن هذه القلعة ومن قلاع أخرى صغيرة ومن أسوار القصر، قام الأتراك بقصف متواصل بالقذائف والقنابل على الرجال الذين في الخنادق، وعلى أي مجموعة من الفرنسيين تظهر للعيان في مدى نيرانهم. ولقد تعرضت حاميتنا التي كانت محل احترامهم في البداية، لضربات متواصلة من نيرانهم كما أشرت إلى ذلك فيما مضى ـ ولقد وجدنا أنفسنا غير قادرين على البقاء في مكاننا أو مبارحته بسلام. إذ طالما كان الفرنسيين يحيطون بنا، فإن بطاريات الأتراك ستواصل ضربنا ـ أما لو أننا انسحبنا من منطقة جوار وحماية الفرنسيين، الذين اعتبرنا الجزائريون حلفاءهم، فإن من المؤكد أن غضب العرب سينصب علينا، وإن صرنا في بيت غير محصن فلن نستطيع دفعهم عنا. لذا، قررنا البقاء بنسائنا وأطفالنا. ولحسن الحظ استطاعت مجموعتنا التي يقارب عددها المائتي شخص النجاة دون أن نخسر فرداً واحداً خلال تلك الفترة، وبسبب فقدان الاتصال بين خدمات البحرية واحتياجات الجيش بقي الضباط والجنود الموجودون حولنا بدون تموين، لذا قام هؤلاء باستهلاك جانب كبير من مخزوننا الغذائي. وأذكر في إحدى المرات إننا اضطررنا أن نعطي الجنود ١١ رأساً من الغنم. ولقد قمنا بذلك، كما قمنا بضيافة الضباط عن طيب خاطر، وبسرور شعرت به بقوة خاصة لأنني وجدت ضمن هؤلاء الضباط، الكثير من الأسماء البارزة في ثورتنا[٣٧] ـ [مثل] دوق موييه دي لوزيم، الكونت جرانمونت، البارون سانت سيمانز وكانسيرز الشاب، الذين يبدو أنهم ورثوا صداقة آبائهم للولايات المتحدة. إن من الممكن عزو طول المدة التي انقضت بين بداية العمل في التحصينات الفرنسية والانتهاء منها إلى فقدان فعالية الارتباط والتنسيق بين البحرية والجيش ـ إذ لم يتم إحضار المدافع اللازمة لإنشاء تلك التحصينات من سيدي فرج، على بعد عشرة أميال، إلى الموقع [المطلوب] إلا مساء يوم ٣ [يوليو ١٨٨٣] ـ ولقد تم تأمين التحصينات الفرنسية ضد المناوشة بسلسلة من المتاريس. لقد كانت معاونة البحرية في القتال في غاية

الضعف والسخافة. ففي أول يوم من أيام يوليه، قام تشكليل بحري مكون من طابورين من سفن القتال و١٥ فرقاطة وعدد من السفن الصغيرة يقودها اللواء البحري دوبيير والعميد البحري رازاميل، بالإبحار بالقرب من الشاطىء في نسيم خفيف من رأس كسكين إلى مدينة الجزائر بمواجهة سلسلة القلاع الصغيرة التي تحمي ذلك الساحل، وقام ذلك التشكيل خلال إبحاره بفتح النار على تلك القلاع بالتوالي. ولقد كان في اعتقادنا أن ذلك القصف البحري لم يكن القصد منه إزعاج البطاريات التركية وتحويل نيرانها بعيداً عن الجيش الفرنسي الذي كانت تزعجه وحسب، بل لتدمير تلك البطاريات وكل الحصون التي كانت تحت رحمة نيران ذلك الأسطول. ولقد أعطانا موقعنا الذي يرتفع ١٢٠٠٠ قدم [كذا][٣٨] عن ذلك الجزء من الشاطىء مكاناً نشرف منه عن قرب، نحن والضباط الفرنسيون على ميدان العمليات كله. وعلى الرغم من أن السفن مرت في تتابع، يشاهد كل منها أثر ضربات السفينة التي قبلها، ورغم أن كل واحدة من تلك السفن، قامت بإطلاق متزامن لمجموع مدافعها الجانبية أكثر من مرة، فإن أيا من تلك الطلقات بالكاد أفلح في الوصول إلى الشاطىء أو إلى اثنتين أو ثلاث من القلاع التي لم يصبها أي أذى، بل إن ذلك القصف بدلاً من أن يسكت حتى ولو أصغر واحدة من تلك القلاع، لم يمنع اثنتين منها، عندما انتبه رجالها إلى العدد الغفير من الضباط الذين تجمعوا في منزلنا، من تجديد إطلاق النار على ذلك المنزل وسط القصف الفرنسي البحري. ولقد قام بعض هؤلاء الضباط من ذوي الرتب العالية بالسخرية من ذلك العرض، وانقبض صدر بعض آخر، بينما حاول آخرون تبرير عدم فعالية الأسطول بالادعاء بأن الهدف من تلك العملية لم يكن سوى محاولة سبر عمق الماء في تلك المنطقة، وقياس أبعاد القلاع استعداداً لهجوم قوي وفعال يأتي فيما بعد. ولما استمر الجيش في المعاناة الشديدة من القصف المدفعي التركي المتصل على فرق العمل والحراس، قام الأسطول في يوم ٣ يوليو بالاقتراب مرة أخرى من النقطة نفسها، بالترتيب نفسه ولكن بقوة أكبر، وكان لنا نفس ميزة مراقبة تلك

العملية، كما كنا قد راقبنا سابقتها، وكان معنا هذه المرة عدد أكبر من الضباط الفرنسيين. وكانت القوة البحرية هذه المرة مكونة من سبعة طوابير من سفن القتال، و١٥ فرقاطة، وست سفن قنابل، وبعض السفن الصغيرة ومركبين بخاريين، قام أحدهما أحياناً بإطلاق النار. كان على رأس القوة فرقاطة قامت بتأدية واجبها بشجاعة ودقة. قامت هذه الفرقاطة بالمرور أمام كل البطاريات من رأس كسكين، حتى أكثر حصون المدينة مناعة ـ مبقية المسافة بينها وبين الشاطىء في حدود الإطلاق المباشر ومستمرة في القصف من المدافع الجانبية في تتابع سريع مستمر. يتبع تلك الفرقاطة سفينة قتال تحمل علم الأميرال، ولكنها بقيت على مسافة كبيرة [من الشاطىء] وكانت قليلة الفاعلية، وكانت كل سفينة أخرى أكثر ابتعاداً عن الشاطىء من سابقتها وأقل اقتراباً من بطاريات المدينة القوية، لذا بدلاًمن أن يتوجه ثقل تلك النار الكثيفة إلى المدينة وبطارياتها القوية المدافعة عن الميناء، تَمَّ صرف تلك النيران على القلاع قليلة الأهمية التي كانت تحمي مدخل المدينة من الغرب، وحتى هذه لم ينجح القصف في إسكات أي منها. إنني لم أشاهد مثل هذا القصف المدفعي من قبل، ولم أكن أتصور أن مثل هذه النار الكثيفة قد تكون غير مؤذية على الإطلاق، فنحن لم نشاهدها تقتل فرداً واحداً، وحتى اليوم لم أسمع أحداً يقول إنها قد قامت بذلك. إننا لو حسبنا أن كل نوبة إطلاق من ذلك الأسطول قد قذفت سبعمائة إطلاقه، وإذا كان معدل إطلاق كل مدفع في السفينة خلال تلك العملية كان ثلاث مرات، إذاً يمكننا القول إن ٢١٠٠ طلقة قد تم إطلاقها من قبل تلك القوة البحرية دون أن تنتج أي أثر يذكر. وبالمثل لم يتعرض الأسطول لأي سوء، ما عدا انفجار أحد المدافع على سطح سفينة الأميرال ـ والتي بما أن أي مذبحة لم تحدث بسبب المسافة البعيدة عن الشاطىء التي بقيت عليها تلك السفن تسبب [ذلك الحادث] في إحداث هيجان عظيم فوق ظهر المركب. لقد تسبب هذا العرض السيء بإصابة ضباط الجيش الذين لم يخفوا خيبة أملهم وحزنهم بالإحباط الشديد ـ لقد كان ذلك الفشل دليلاً قوياً ضمن أدلة كثيرة، نجدها في تاريخ فرنسا، على عدم

قدرة هذه الأمة الحربية على القيام بأي إنجاز عظيم في البحر. في اليوم التالي وهو الذي صادف عيد استقلال بلادنا[٣٩] بدأ الفرنسيون ـ بعمليات من نوع آخر وأكثر توفيقاً. إذ كما ذكرت في رسالتي المؤرخة يوم ٥ الماضي، قام الجنرال لاهيت بفتح نيران البطارية، المركبة من ٢٦ مدفعاً طويلاً ومدفعي هاون. على القلعة المحصنة المشرفة على مداخل المدينة، وعلى المدينة نفسها ولقد قام الجيش بأداء ذلك العمل على أحسن وجه. كانت البطاريات على بعد يتراوح بين نصف ميل وميل من القلعة بسبب خداع البصر الناتج عن عدم وجود الأشجار في تلك المنطقة، وصفاء الجو، سقطت القذائف الأولى دون مرماها المرغوب، ولكن بعد عدة جولات تجريبية أدرك الرماة المسافة المطلوبة وبدأوا في إطلاق النار بدقة تصويب تدعو إلى الإعجاب. بعد أربع ساعات من القصف ثم إسكات مصادر النيران في القلعة، على الرغم من أن كبير الوزراء الجزائريين، نفسه كان يقود المدافعين عنها معاوناً بنفسه على تشغيل المدافع وموزعاً حفنات الذهب على رجاله لكي يشتري خدماتهم، وفي النهاية أشعل النار في مخزن بارود القلعة ناسفاً إياها. وكانت قوة الانفجار الناتجة عن ذلك على درجة من العنف، تسببت في تشقيق حيطان منازل تبعد مسافة ميلين من القلعة. وبعد وقت قصير من ذلك، طلب الداي من القنصل البريطاني التوسط، ووافق هذا على ذلك وقام بالوساطة، معرضاً نفسه للعديد من المخاطر، ونجح في تجنيب المدينة فضائح اقتحامها عنوة. وأمن وسلامة الداي الشخصية ورعاياه والحفاظ على أشخاصهم وممتلكاتهم. وفي اليوم التالي وفي الساعة الواحدة استولت القوات الفرنسية على القصر والأماكن الأخرى المحصنة في المدينة وضواحيها. وهكذا انتهت عمليات القائد الفرنسي الحربية. ولم تكن عملياته الدبلوماسية أقل لفتاً للنظر. وقد بدأت هذه العمليات بعزل الداي، وإعلان انتهاء السلطة التركية في إيالة الجزائر. وخلال الفترة اللاحقة قام بإرسال الداي وزوجي ابنتيه (أغا الأنكشارية ووزير البحرية) مع عائلاتهم، وثروة من الجواهر والذهب، تقدر قيمتها بمليوني دولار على ظهر سفينة إلى ماهون ومن هنالك يقال إنهم سوف

يتجهون إما إلى نابلي أو ليفورن أو مالطا، ولقد كانت هذه الأماكن الثلاثة تتقاسم تفضيل الداي عندما كان هنا. ولقد قام الجنرال بورمونت كذلك بترحيل كل الأتراك غير المتزوجين الذين وجدهم هنا، ويقدر عددهم بألف ومائتي شخص إلى أزمير أما المتزوجون الذين فضلوا البقاء هنا فقد قام بتجريدهم من السلاح. ويقال إنه ينوي هدم كل الحصون التي هنا وإرسال مدافعها إلى فرنسا. ولقد قام بتشكيل مجلس تنفيذي من حضر مدينة الجزائر، لكي يعاونوه على حكم المناطق التي استولى عليها، كما قام بتعيين عدد من الضباط الجزائريين الذين منحهم ألقاباً وواجبات مألوفة لدى السكان، وجعل هؤلاء الضباط على اتصال مع السلطات الفرنسية التي وجدها ضرورية لضبط المدينة، كما قام بإنقاذ كل الأسرى الفرنسيين الذين وجدهم هنا، ويقدر عددهم بمائتي رجل، وقام بإعادتهم إلى أمن أوطانهم، وقام أيضاً بالاستيلاء على خزينة الجزائر العامة، الذائعة الصيت، والحاوية على مقدار من الذهب والفضة والجواهر يقدر العارفون قيمته بمبلغ يتراوح بين مائة ومائة وخمسون مليون دولار ـ أكثر بكثير من التكلفة المحتملة لعملية الغزو. إلى تلك الخزينة يجب أيضاً إضافة قيمة [ما تم الاستيلاء عليه من] المؤن والأعتدة الحربية ـ الحاوية على ٢٠٠٠ قطعة مدفع منها ١٠٠٠ مدفع نحاسي وكمية من أخشاب بناء السفن وفرقاطة تحت الإنشاء وعدة سفن أخرى. لقد علمنا أن الجنرال [بورمونت] قد كوفىء على نجاحه الكبير هذا باعطائه رتبة ماريشال فرنسا. ولكن على أية حال، إن أثر انتصاره لم يتعد مرمى مدافعه ـ فالعرب المسيطرون على السهول، والبربر الذين يسكنون الجبال، لا يعترفون بسلطته ولا يخضعون لها، وعلى الرغم من كونه قد أنهى الوجود الفعلي للجزائر كدولة قرصنة، إلا أن على المرء أن ينتظر ليرى ما إذا كان باستطاعته أن يقيد القبائل والأمم الوحشية التي كانت تعترف بسيطرة الدولة الجزائرية بسبب نفوذ الديانة المشتركة وسلطان الفتح القديم. وللقيام بهذا الغرض يقوم الجنرال الآن بإرسال قوة بحرية من ٣٠٠٠ رجل وسفينتي قتال وخمس فرقاطات إلى عنابة ميناء بيلك قسنطينة الواقع على بعد ٢٨٠ ميلاً إلى الشرق من هنا،

والذي تحميه الآن حامية تركية صغيرة مما يجعل الاستيلاء عليه أمراً سهلاً. ولكن هذا النجاح، على العكس من احتلال مدينة الجزائر سوف يكون بدون شك ذا تأثير محلي ـ كما سيكون الحال كذلك بالنسبة لوهران التي يقال إنه يفكر بالاستيلاء عليها ـ لذا فإن القوة الفرنسية بعد أن تتوطد تماماً في هذه الأماكن الثلاثة لن تبسط نفوذها إلا على جزء بسيط من أرض وسكان شمال إفريقيا. لقد بدا بوضوح، من قبل أن يصلني خبر رفض تعييني، إن واجبات منصبي الأساسية، قد ألغاها سقوط الحكومة التي كنت مفوضاً لديها. فالمشاغل الدبلوماسية في هذا المكان سوف تنتقل إلى سفيرنا في باريس طالما احتفظ الفرنسيون بهذا البلد، وأي سلطة ستبقى لمكتبي هذا لن تتعدى سلطة وكيل تجاري عادي ـ إذ كما أن إشراف هذه القنصلية على غيرها من القنصليات الأمريكية في شمال أفريقيا، كان عائداً لتفوق أهمية هذه الأيالة على غيرها من دول إفريقيا الشمالية، فإن مسؤولية الإشراف هذه ستزول، بالضرورة، مع زوال هذا التفوق. وفي تعميم بعث به القائد الفرنسي مؤخراً إلى كافة القناصل المعتمدين هنا، أوحى ذلك القائد، الذي لم يحدد ذلك التعميم فترة أو طبيعة سلطته الخاصة، بأنه يعتبر واجبات القناصل في المستقبل قاصرة على الشؤون التجارية. وتجدون طي هذا الكتاب نسخة من ذلك التعميم الذي سوف تلاحظون التضارب في دلالته. إذ إن إعادة فتح القنصلية الفرنسية هنا قد يعطي الانطباع بأن هذا البلد على وشك استعادة استقلاله من فرنسا، بينما القول بأن على وكلاء الدول المسيحية الأخرى تسيير الأمور الخاصة بأممهم عن طريق القنصل الفرنسي يجعله موظفاً في حكومة هذا البلد، يتداول الاقتراحات ويناقش مصالح الدول العائدة لعلاقاتها مع الجزائر. وباختصار بينما جزء من المذكرة يعتبر المسيو ديفال قنصلاً لفرنسا لدى حكومة الجزائر، جزء آخر يعتبره وزيراً للشؤون الخارجية في هذه الحكومة. ولاعتقادي بأن من الأفضل ترك توضيح هذا التناقض للأحداث اللاحقة، أو لاختيار من سوف يخلفني في منصبي هذا، فإنني لم أرد على هذه المذكرة، بل قمت بزيارة قنصل فرنسا لغرض إظهار اعترافي الرسمي بصفته الوظيفية. كما

أنني قد قمت كذلك بزيارة مماثلة للقائد الفرنسي، ولكني على العكس من زملائي القناصل الآخرين، لم أقم بتلك الزيارة، إلا بعد أن تم عزل الداي. حتى حينذاك شعرت بأن من الملائم للطبيعة الحرة والشهمة للولايات المتحدة أن أقوم أولاً بزيارة الأمير المخلوع. قبل أن أقوم بزيارة الجنرال المنتصر، وأن أؤدي للداي وهو في حالة انحسار سعده، فروض الاحترام نفسها التي كنت أؤديها له عندما كان في عزه وسلطانه. ولقد أثار تصرفي هذا في نفس الداي عاطفة جياشة لم يستطع إخفاءها وهو الرجل المعروف بالصلابة والوقار.

إنني لا يمكن أن عرف ما ينوي الفرنسيون القيام بـه حيال درجـة الإخضاع التي سيعرضون لها هذا البلد، وبما لا بد وأنكم قد تعرفتم على هذه النوايا عن طريق السيد رايفز فإنني لا أريد أن أثقل عليكم بتخرصاتي أكثر من أن أقول إنه يبدو أن من المحتمل أن الفرنسيين سيقيمون حكومة عربية خاضعة لفـرنسا ومـرتبطة بهـا. إن كنت قد أثقلت عليكم ببعض التفاصيل في هذا الكتاب. فذلك لأني لم أستطع أن أنتزع من نفسي الاهتمام العميق بالأحداث التي رافقت الصراع الأخير والدمار النهائي لهذه الحكومة، والتي خلال حياتها التي تميزت بالكثير من الجرائم والحماقات، قد مارست خلال أربعة قرون، مقداراً من النفوذ ليس بالضئيل على شؤون العالم، وعلى الرغم من التأثير السيء لسمعتها الرديئة إلا أنها كانت منذ سنوات خلت قد بدأت بتسيير أمورها بإنصاف وحسن نية؛ وقد يكون الشعور نفسه لديكم، دافعاً لكم لكي تغفروا لي طول هذه الرسالة وتتسلموها بصبر وتتقبلوا معها مجدداً تأكيد احتراماتي وتقديري الذي لي الشرف أن أحييكم به.

هـ. لي

نـــص الوثيقـــة

Algiers 15th July 1830

Sir

I took occasion a few days ago, by an opportunity for Gibraltar, that unexpectedly presented itself, to acquaint you that a report of much probability in its shape and circumstances had reached here from Mahon, of my having been superseded by the appointment of our distinguished fellow citizen Comre Porter. To this decree of severe justice I bow with submission and humility - sustained by the hope that my conduct here has not merited disapprobation, and by the consciousness of being, however inconsiderable and unworthy in the estimation of my country's authorities, unsurpassed in filial love and veneration for her soil, her character, her liberty and laws. This irrepressible and ardent sentiment I offer as security for manifesting the same zeal in her service, now that I am disowned, which animated me before the fact of my being superseded was known to me, did the circumstances in which this country is now placed afford any occasion for its display. But the deposition of the Dey and his deportation [to a][41] distant country, seem to have suspended, if not altogether [annulled][42] the principal functions of the office with which I [am? was?][43] charged.

On the 5th last I had the honour to report to you the capture and occupation of this city by the French army under the command of Gen[1] the Count de Bourmont, after a series of varied and successful operations which commenced with his landing at Sidi Ferrutch on the 14th of June, and had just then terminated. Were it within the compass of my duty to characterize this short campaign, I should observe that although the French Commander gave no example of that daring enterprise and rapid combination, with which the students and actors of French warfare have of late years been familiar, his measures were as bold and as vigorous, as that sort of prudence which leaves nothing to fortune, rendered practic-

able. As he never advanced without forcing his enemy, so he never halted without fortifying his position, nor extended his line of operations without giving additional security to their base. The route from Sidi Ferrutch to Algiers is a distance of about twelve miles, along the base of a promontory of which Cape Caxeen, five miles west of Algiers and nine east of Sidi Ferrutch, is the headland. Though hilly and covered for the most part with a low and prickly brushwood, with here and there hedges of Aloe, Cactus, and Mastick, it is unobstructed by forests, rivers, or mountains, passable for cavalry, and without much difficulty for Artillery, and pervious at once to the most extensive **coup d'œil.** Yet with but a disorderly and fugitive resistance from the Arabs and Kabyles, Gen Bourmont consumed fifteen days in coming within cannon shot of the fort which constituted the principal defence of Algiers on the land side — having at the same time often inferior and never superior numbers opposed to him. His force is stated to amount to 45,000 land troops, besides the cooperation of a fleet manned by 15,000 mariners, and I [don't][44] think the tumultuary force opposed to him has at any moment reached 50,000 men. On the 19 th he advanced from [Sidi][45] Ferrutch early in the morning and surprised the camp of the [Aga][46] at Starwelly, about three miles on the route to Algiers, bayo [neted][47] many of the Turkish troops, dispersed the rest, and took a quantity of treasure and military stores. On the 24th the enemy collecting in force in his front and on his flanks, he moved forward again about 8 o'clock in the morning in eight columns, and driving before him the sharp but undisciplined opposition of the Aga's army took possession of the second camp of that chief, and occupied a range of heights in front of it, about 4 miles from the town. On this occasion as on that of his former advance, the Arabs and Kabyles fled past the town along the sea shore to the eastward, leaving no army between the French General and Algiers. Holding this position and continuing to strengthen it and his communication with the Fleet, as well as to bring up ammunition and artillery, up to the morning of the 29th, Count Bourmont was contented to repel the skirmishing and reply to the cannonade of the Aga, which were brisk and sanguinary, until the dawn of that day, when having had the eldest of his four sons who

accompanied him, mortally wounded, he attacked and routed his irregular adversaries again, who a third time fled beyond the city, and left it defended only by its works. Although I could not help sympathizing with the invaded party in this war, and could not view without pity the courageous but ineffectual resistance, which they opposed to the prowess and skill of the French army and commander, I do not know that I ever experienced a prouder glow of sympathy and triumph, than when I first beheld from the terrace of our garrison, the victorious Christian troops driving the Barbarian hordes before them, and crowning the heights in the full view of Algiers — their kindred banners streaming proudly into the wind, and their conquering arms glittering in the morning sun. — As I had the honour to mention in my letters of the 21st of April and the 9th of May, the Consuls of Spain, Naples, Denmark, and Sweden with such members of their families as remained here during the war, and with all the Christians and a number of Jews dependent on them, were united in a large fortified house, and organized in the form of a garrison, which was protected by the American flag and placed by their unanimous choice under my command. From the moment that the apprehended descent of the French drew from the plains and mountains to the vicinity of Algiers, the bands of Arabs and Kabyles upon whose exaggerated numbers and fanatical courage the Dey and his Janissaries relied but too confidently, the houses of the four Consuls above mentioned were too much exposed to insult and pillage to be habitable, and mine, though from its position less liable to intrusion, was by no means safe. On the 26th of May therefore we were constrained to leave our several residences and to repair to the fortress which with the consent of the Dey we had selected and prepared to shelter us and our numerous dependants in a safe neutrality until the storm of war should have passed by and the waters of contention have subsided around us. The enclosed papers, being copies of our constitution, and of my first order for the regulation of the garrison, will explain to you the nature of our association and apprise you of the pressure of danger under which it was formed. Its event was I am happy to say most fortunate, for while the houses around us, the property of Moors and Jews, were cruelly plundered, with the fre-

quent loss of lives among the latter, we maintained ourselves in perfect security and with but slight exceptions in perfect quiet. Each time that the advance of the French drove the Turkish forces along by our establishment, it was apprehended that so small a body of Christians would present too tempting an object for their revenge and mortification — while each time that they returned to the contest it seemed probable that confidence and cupidity would prompt them to attack us. Our respectable defences, and favourable position however, not only saved us from their violence, but gave us the satisfaction of knowing, that we were the means of protecting many families in our neighborhood, until the French got possession of the ground. This as before stated occurred on the 29th when the French commander sent a party with assurances of respect and assistance, but proposing to occupy our position as a necessary point of support for his left flank. In accepting gratefully his offers of courtesy and protection I thought it my duty, by declining to yield our place to him, to maintain the neutral position held by the United States, and the Countries of the Several Consuls under my flag, towards France and Algiers, and the friendly one in which our respective credentials placed us all in relation to the latter. I went so far as to request that he would not occupy the immediate environs of our garrison with troops, and more especially, as one of his officers had intimated, with a battery, in as much as it would infallibly draw on us the fire of the Dey's forts; and involve our families, in which were included ladies and children, in serious danger. This request I enforced by observing that hitherto our neutral character had been scrupulously respected by the Barbarians, and that I hoped the measures of the French General would not force us to regret the approach of a Christian army. I must suppose that either this appeal or a closer view of the ground, induced him to dispense with the creation of a battery near us, but it seemed a matter of military necessity that he should occupy the height on which our garrison was situated. This was done by General Achard with the Bigade (sic) he commanded, and though it was done in spite of my remonstrances, I have no doubt that the operation was dictated by military prudence, and I bear witness that it was conducted with fairness and delicacy. He ordered a

guard of 40 men to be detailed for our use, and upon hearing that my father and the father of Baron Lt Liman had been acquainted in the war of our revolution, he directed that officer to take command of the party. This arrangement, together with the immediate and continual concourse of French officers of all ranks to make observations, and enjoy the view of the fleet, the armies, the forts, and the city from our terrace, had the immediate effect that was apprehended, of attracting to us the fire of the Turkish forts, one of the first balls from which was very near killing Gen Achard himself. As we could not remove the French troops, nor refuse the duties of hospitality to their officers, our table and our terrace were constantly crowded, the former the only Christian one within their lines, and the latter the most commanding point of view in the environs of Algiers. Of this the consequences were a great increase in the expense of our establishment and the frequent direction of bombs and bullets against it. The first we trust our governments will reimburse, and the last we escaped by means of the peculiar situation of our fortress, which was so placed in relation to the ground on which it stood and the guns which played on it, that it was almost impossible for a ball to rise high enough to reach it without passing over it. It was however an unpleasant state of exposure that we were placed in, and for the ladies a most painful one from the 29th June to the 5th July. I am sorry to observe that the French troops were guilty of many licenses, which though more suitable to the character of savages, their barbarous adversaries did scarcely equal. On the morning of the 29th while their officers were partaking of our refreshments, a party of soldiers broke into the house of the Neapolitan Consul, which had the flag of Naples flying on it, shot his gardener, a European, his booker a Jew, and the daughter of his booker. This outrage has been attempted to be justified by the improbable assertion that the gardener and the Jew had presented pistols against the French soldiers — an assertion which these soldiers make and which the victims of their brutality cannot contradict. It is with more plausibility palliated on the ground of its having been committed in the heat of blood and flush of conquest, when the French troops had just forced the Arabs from the last stand they made in the field. This excuse I should have been

inclined to confide in had they not subsequently in cold blood broken open and robbed the houses of the Swedish and Danish Consuls, and finally my own, destroying property of much value in the two former, and finding but little to plunder in the last. From what I could learn their disposition to rapine exceeded that of the barbarians greatly, and was not repressed by a single instance of punishment. Their outrages took place between the 29th and 5th July, which interval was employed by their commander in opening trenches and constructing batteries against Fort de l'Empereur, a castle of considerable antiquity and strength which commanded the city and constituted its principal defence on the land side. From this fort, from various smaller ones, and from the fortified walls of the palace, the Turks kept up an incessant fire of shells and shot on the men in the trenches, and on such parties of French as shewed themselves on any point within the range of their fire. Our garrison which had before been respected, was as I have already mentioned, frequently aimed at — and we found ourselves unable to occupy or to leave it with safety. For as long as we were surrounded by the French, the Turkish batteries would play on us — while, if we withdrew from the neighborhood and protection of the French, having once been associated with them, we were sure to incur the hostility of the Arabs, and be, in an unfortified house unable to repel it. We decided therefore to remain, ladies children and all — and fortunately escaped with a collection amounting to about 200 persons, without the loss of a single life. During this time, as from some want of correspondence between the services of the navy and the wants of the army, the officers and men quartered near us were often without rations, our provisions were necessarily consumed in great quantities. I remember at one time we had to give eleven muttons for rations for the men. We did this, as we entertained the officers, with pleasure, a pleasure which I believe I felt with peculiar force, as I found among them names which were distinguished in our revolution — the duc de Moailles, de Lauzim, the comte de Granmont, Baron St Simons & Le young Canaciers, who seemed to have inherited the friendship of their fathers for the U. States. To the want of efficiency in the connection between the fleet and the army I presume is to be attributed

the length of time which elapsed between the commencement and the completion of the French works — the cannon for mounting which was not brought up from Sidi Ferrutch until the evening of the 3rd a route of about 10 miles — secured against annoyance by a chain of redoubts. The military cooperation of the fleet was feeble and ridiculous in the extreme. On the 1st of July a squadron consisting of 2 line of battle ships 15 frigates and several smaller vessels, commanded by vice Admiral Duperre and Rear Admiral Rasamel, bore down with a free breeze off the land from Cape Caxeen and keeping abreast of the small forts which defended the coast from that cape to the town, opened a fire on them in succession, which we supposed was intended not only to divert the Turkish batteries from annoying the army and interrupting their works, but to destroy all the forts exposed to it. Our position about 12,000 feet (sic) immediately above this part of the coast gave us and a large number of the French officers who came to witness it, a fair and close view of the whole operation. Although the ships passed in succession each succeeding one seeing the effect of her consorts shot, and though most of them fired more than one broadside, scarcely any of their balls reached the shore, and but 2 or 3 any of the forts to which they did not the least damage, and so far were they from silencing even the smallest among them, that two of these seeing immense numbers of French officers about our house, renewed their fire on us in the midst of the French cannonade. Some of the officers who were of the highest rank ridiculed, some execrated this display, while others explained it as a mere essay for the purpose of getting the depth of the water and the distance of the forts preparatory to a real and effective attack. The army continuing to suffer much from the incessant cannonade of the Turks on the working parties and guards, on the 3rd the fleet approached again from the same point, in the same order and in much greater force. We had the same advantageous view of this operation that we had of the former, as had a still greater number of French officers than had then been with us. The squadron now consisted of 7 line of battle ships, 15 frigates, 6 bomb vessels, some smaller vessels, and 2 steam boats one of which occasionally fired. The leading ship was a frigate, which performed her part

with gallantry and precision. She passed all the batteries from Cape Caxeen down to the most formidable works of the town — ranging along in point blank shot and pouring in her broadsides with unabated rapidity. Next followed the ship of the line bearing the vice Admiral's flag, but she kept at a greater distance and had but little effect. Each succeeding ship kept further and further from the land, and approached less and less near to the strong batteries of the town, so that the weight of this immense fire instead of being directed against the town and the strong batteries which defend the harbour, was expended on the inconsiderable forts which guard the approach to it from the West, not one of which did it silence. I had never witnessed such a cannonade before, and had no conception that such a weight of fire could be perfectly harmless. We did not perceive that it killed a single individual, nor have I since learned that it did. It may be computed that each broadside of the fleet threw about 700 guns and that on an average the ships fired three broadsides, so that 2100 guns were fired by the squadron without producing perceptible effect. They suffered but little injury, excepting from the bursting of a gun in the admirals ship — which because no other slaughter occurred from the great distance they generally took, produced I am told great sensation. This exhibition being without excuse or palliation, occasioned great mortification among the land officers — who did not conceal their chagrin and disappointment. It was probably the most signal of the many proofs to be found in the annals of France, of the total incapacity of that warlike nation for great exploits at sea. The next day being the anniversary of our independence, they commenced operations on a more suitable element and of a different character. As mentioned in my letter of the 5th last batteries mounting 26 long guns and 2 mortars, were opened by Gen[1] La Hitte the commanding officer of artillery against the fortified castle which commanded the approach to the city, and the city itself. This part of the service was admirably performed. The batteries were from half a mile to a mile from the fort, and owing to the deception occuring to the view here, from the clearness of the atmosphere and the absence of trees, the shells at first fell short of their mark, but after a few tentative rounds they caught the distance and the precision

with which they fired was truly admirable. After 4 hours fire, the fort was silenced, although the Algerian prime minister, who commanded it, assisted in working the guns himself, and distributed handfuls of gold among his men to purchase their services. At length he set fire to a magazine and blew up the fort. The explosion was so violent that it cracked the walls of houses two miles off. In a short time after this took place the Dey solicited and obtained the good offices of the English Consul, who at no small risk of his personal safety, saved the town from the horrors of a storm and secured to the Dey and his subjects protection for their persons and property. The next day at 1 o'clock the French troops took possession of the palace and the other fortified places in the city and its suburbs. Thus ended the military proceedings of the French commander. His political operations have been not less remarkable. These he began by deposing the Dey and declaring the Turkish authority extinct in this Regency. He has since sent off the Dey and his two sons in law, (the late Aga of the Janissaries and the Minister of Marine) with his and their families, and with a fortune in jewels and gold, supposed to amount to 2 millions of dollars, in a ship of the line to Mahon; whence it is said he is to proceed either to Naples, Leghorn or Malta, these three places appearing to divide his preference equally when he left here. Gen Bourmont has also shipped off all the unmarried Turks that he found here, amounting to about 1200, to Smyrna, and has disarmed the married ones who have chosen to remain. He proposes it is said demolishing the forts, and sending to France all the cannon. He has established a Moorish executive council, with whose assistance he governs his conquest, and has appointed various Moorish officers, with titles and duties familiar to the population, and placed them in concert with such French authorities as are found necessary for the police of the city. He has rescued the French prisoners that were here, about 200 in number, and sent them back in safety to their country, and he has obtained possession of the long descended public treasure of Algiers, amounting, in gold silver and jewels, according to the best conjectures, to the enormous sum of from one hundred to one hundred and fifty millions of dollars — much more than the estimated cost of the expedition. To this is to be added the value

of the provisions and military stores, including 2000 cannon, 1000 of which are brass pieces, a quantity of ship timber, a frigate on the stocks and other vessels. For this great success we understand he has received the baton of a Marshall of France. His conquest however has not extended beyond the fire of his cannon — The Arabs who possess the plains, and the Kabyles who inhabit the mountains neither recognize nor submit to his authority, and although he has evidently terminated the existence of Algiers as a piratical state, it remains to be seen whether he can impose adequate restraints on the ferocious tribes and nations which under the influence of a common religion and of ancient conquest, heretofore acknowledged its sway. In order to accomplish this purpose he is despatching an expedition of 3000 men, two ships of the line, and five frigates against Bona, the seaport of the Bey - ship of Constantina about 280 miles east of this place, which is held by a small Turkish garrison, that will probably be made an easy conquest. But this success will doubtless be more local in its effects than the occupation of Algiers — as will in all likelihood be the capture of Oran, which is said to be meditated — so that the French power after being firmly established on these three points of the coast will extend itself but slightly over the territory and population of Barbary. Before I was apprised of the rejection of my appointment it appeared but too evident that its principal functions had been annihalated by the overthrow of the government to which I was accredited. The diplomatic concerns in this quarter as long as the country is held by France are of course transferred to our minister at the court of that country, and the only authority remaining to this office is that pertaining to an ordinary commercial agent — for as its superintendance over the other Barbary Consulates was founded on the superiority of this Regency to the other Barbary Powers, it expires necessarily with that superiority. A circular which has lately been addressed by the French Commander to the Consuls here, though it does not define the nature or duration of his own authority, seems to consider the future duties of Consuls here as limited to commercial concerns. A copy of this circular you will find enclosed, and you will observe the confusion of inferences to which it gives rise. By reestablishing the French

Consulship here, it would appear that this country was about to regain its independence of France; while the intimation that the agents of the other Christian powers here are to transact the affairs of their several nations through the French Consul places him in the position of a functionary of this country and its gov [ernment] — entertaining the propositions and discussing the interests of nations in intercourse with Algiers. In short one part of the note considers Mr. Duval as the Consul of France, the other as the minister of foreign affairs for this Government. Considering it better to leave this inconsistency to the explanation of events or the examination of my successor I have made no reply to the note, but have waited on the Consul of France, for the purpose of shewing a ceremonious acknowledgement of his official character. A visit of the same kind I have paid to the French commander, but, unlike my colleagues, not until the Deposition of the Dey was completely effected. Even then I thought it more conconant to the free and magnanimous character of the United States, to visit the fallen prince, before I called on the successful General, and to pay the same respect to the former in misfortune, as I had been accustomed to shew him in the height of his power. This deportment, in spite of his national gravity and personal firmness, extorted the expression of deep emotion.

I cannot inform myself of the ulterior designs of the French govt respecting the degree of subjection to which they propose reducing this country, and as you may be acquainted with them through Mr. [Rives], I shall not trouble you with speculations farther than to say it seems probable that they will establish a Moorish regency, dependent on and tributary to France. If I have been minute and tedious in the details of this letter, it is because I have not been able to divest myself of a solemn interest in the events which accompanied the last struggles and final ruin of this government, which through its existence has been marked by crimes and by folly, has exercised for more than four centuries no small degree of influence on the affairs of the world, and in spite of the vitiating effect of a bad name, has of late years been conducted with commendable equity and good faith.

Something of the same feeling may perhaps induce you to pardon the length of this communication, and to receive without impatience a renewal of the assurances of esteem and respect with which I have the honour to salute you.

H. Lee

الحواشـــي

١ ـ انظر على سبيل المثال الكتاب الذي كتبه أحد ضباط أركان قائد حملة الجنرال بورمونت.

Edouard d'Ault - Dumesnil, *De l'expédition d'Afrique en 1830* (Paris, 1832).

وكتاب مساعد الجنرال بيرتيزن أول حاكم عسكري للجزائر بعد الاحتلال الفرنسي.

Barchou de Penhoen, *Mémoires d'un officier d'étate - Major. Expédition d'Afrique* (Paris, 1935).

٢ ـ هنالك مسح جيد لهذه الوثائق في

G. Esquer, *Les Commencements d'un Empire. La Prise d'Alger* (1830) (Paris, 1929).

٣ ـ قد يكون أفضل ما كتب في هذا المجال هو كتاب Esquer المشار إليه أعلاه وكتاب

Paul Azan, *L'exédition d'Alger* (Paris, 1930).

٤ ـ ارجمنت كوران **السياسة العثمانية تجاه الاحتلال الفرنسي للجزائر** ترجمة عبد الجليل التميمي (تونس، ١٩٧٠).

٥ ـ نشر النص التركي وترجمة فرنسية لكتاب أحمد أفندي في

Ottocar de Schlecta «La Prise d'Alger par an Algérien» *Journal Asiatique* no. 11, September - October 1862, pp. 319 - 340.

وتوجد ترجمة عربية مشوهة ومبتورة للنص التركي في: أحمد الجزائري، **كيف دخل الفرنسيون الجزائر، وصف شاهد عيان وضعه أحمد الجزائري نشره وقدم له صلاح الدين المنجد** (بيروت ١٩٦٢).

٦ ـ si Hamdan ben Othman Khoja *Aperçu historique et Statistique sur la régence d'Alger, intitulé en arabe (Le Miroire), par Sidi Hamdan ben Othman Khoja fils de l'ancien secretaire d'état (Maktabdji) de la régence d'Alger, traduit de l'arabe par H.D. Oriental* (Paris, (1833).

وللكتاب ترجمة عربيه:

حمدان بن عثمان خوجة الجزائري، **المرآة لمحة تاريخية وإحصائية على أيالة الجزائر، عرّبه وقدم له وعلق عليه وفهرسه محمد بن عبد الكريم** (بيروت، ١٩٧٢).

٧ ـ نشر النص الفرنسي لمذكرات أحمد باي في

M. *Émerit*, «Les mémoires d'Ahmed, dernier bey de constantine, *«Revue Africaine* (1949): pp. 65 - 125.

ولقد ترجم تلك المذكرات ونشرها: محمد العربي الزبيري، **مذكرات أحمد باي وحمدان خوجه وبو ضربه** (الجزائر، ١٩٨١). ص ٩ ـ ١٠٢.

٨ ـ مارتن فان بيرن سياسي أمريكي بارز عمل وزيراً للخارجية في الفترة ١٨٢٨ ـ ١٨٣١ وأصبح فيما بعد ثامن رئيس للولايات المتحدة الأمريكية في الفترة ١٨٣٧ ـ ١٨٤١.

٩ ـ National Archives and Records Administration, 8th. st. and Pennsylvania Ave. N. W. Washington D. C. 20408 U.S.A.

١٠ ـ General Records of the United States Government, Department of State (Record Group 59) Counsular Dispatches from Algiers.

١١ ـ Henry Lee, *The Campaign of 1781 in the Carolinas, with remarks historical and critical, on Johnson's Life of Green. To wich is added an appendix of original documents relating to the history of the revolution* (Philadelphia), 1824).

١٢ ـ Henry Lee, *The Life of Napoleon Bonaparte down to the peace of Tolento and the Close of his First Campaign in Italy* (London, 1837).

١٣ ـ كان تعيين هنري لي كقنصل للولايات المتحدة من قبل الرئيس اندور جاكسون قد تم، ضمن تعيينات أخرى، في فترة عطلة الكونغرس وعندما انتهت تلك العطلة وعاد الكونغرس للانعقاد رفض المصادقة على تلك التعيينات على سبيل التحدي لسلطة الرئيس جاكسون الذي اعتبره أعضاء الكونغرس سياسياً مخادعاً استغل منصبه وفترة غياب الكونغرس لتنفيع أعوانه بتوزيع المناصب والتعيينات عليهم ولما كان القانون الأمريكي يتطلب مصادقة الكونغرس على تعيين «لي» في منصبه، تم عزله من ذلك المنصب لعدم حصوله على المصادقة المطلوبة.

١٤ ـ يوجد قائمة مفصلة لقوات الحملة الفرنسية وتوزيعها وتجهيزاتها وأسماء ضباطها والسفن التي استخدمت في نقل القوات مستقاة من ملفات وزارة الدفاع والبحرية الفرنسيتين في:

G. Esquer, *Les Commencements*. pp 447 - 505.

١٥ ـ انظر على سبيل المثال

Ch - A. Julien, *Histoire de l'Algérie contemporaine tome 1 la conquête et les debuts de la colonisation (1827 - 1871)* (Paris, 1979). pp. 51 - 52.

١٦ ـ على أن عدد القوات الجزائرية الحقيقي = س، وس = ٥٠ - ٢٧/٣٧ س

١٧ ـ عن حملة اللورد اكسموث على الجزائر انظر

Sir Godfrey *Fisher, Barbary Legend : War, Trade, and Piracy in North Africa 1415 - 1830* (London - 1957).

١٨ ـ انظر عثمان بن حمدان خوجه، المرآة ص ١٥٧ ـ ١٦٠.
ومحمد العربي الزبيري مذكرات ص ١١.

١٩ ـ انظر على سبيل المثال المقال الذي نشرته جريدة

«Semaphore de Marseille»

بتاريخ ١٠ يولية ١٨٣٠ أي بعد خمسة أيام من احتلال مدينة الجزائر والذي يقول فيه كاتبه «لقد احتلت جيوشنا مدينة الجزائر. . . الجزائر ووهران وقسنطينة هي اليوم (مدن) فرنسية والويل لمن يحاول مسهن».

٢٠ ـ «Ancient Conquest»

٢١ ـ الاستثناء الوحيد الملفت للنظر في هذا المجال هو المؤرخ الفرنسي بيلسير دي رينو. انظر

Pellissier de Rynaud, *Annales algeriennes* (Pairs, 1836 - 1839) 3 Vols. Vol. 1. p. 64.

٢٢ ـ يسمى أسلوب التموين هذا «Foraging» انظر:

G. E. Rothenberg, *The Art of Warface in the Age of Napoleon* (Bloomington, 1978) pp 84 - 85, 129 - 130.

٢٣ ـ كانت الغزية عبارة عن حملات شنها الفرنسيون طوال فترة حكمهم للجزائر، ولكن على الأخص في الفترة ١٨٤٠ ـ ١٨٧٠، على قرى الفلاحين ومخيمات البدو. وفي تلك الحملات، التي كان يقوم بتنفيذها طوابير عسكرية فرنسية خفيفة يتراوح عدد أفرادها بين خمسة آلاف وعشرة آلاف جندي، يتم مباغته القرى والخيام وقتل كل من تصل إليه أيدي الفرنسيين من رجال وذبح الماشية والخيول ثم إحراق البيوت والمحاصيل ومخازن القمح. وكان أول من طور تنظيم الغزية واستعمله على نطاق واسع في الجزائر هو الجنرال بيجو الذي تولى قيادة القوات الفرنسية في الجزائر من ١٨٤١ وحتى ١٨٤٨.

٢٤ ـ حول هذا الموضوع انظر:

A. Aulard, «L'insulte faite au consul de France par le dey d'Alger en 1827». *Revolution Française 1923 vol. LXXVI, pp 160 - 164.*

٢٥ ـ ماهون مدينة صغيرة في جزيرة منوركا من جزر البليار الاسبانية، كان بها قنصل دائم للولايات المتحدة الأمريكية ومركز لبحرية تلك الدولة. وكان لتلك القنصلية أهمية كبيرة إذ يعتبر القنصل الذي بها كبيراً لممثلي بلاده في منطقة البحر المتوسط.

٢٦ ـ المقصود هنا هو الداي حسين الذي حكم الجزائر بعد وفاة الداي علي خوجة سنة ١٨١٨ وحتى احتلال الفرنسيين للجزائر. ولد الداي حسين ببلدة صغيرة في الأناضول لوالد كان يعمل مدفعياً، والتحق هو أيضاً بسلاح المدفعية العثماني وعمل فترة في اسطنبول، ثم انضم لأوجاق الجزائر، كما عمل بالتجارة في الجزائر وكون لنفسه ثروة. عرف عنه العدل والحزم والحنكة السياسية.

٢٧ ـ النص الأصلي مثقوب في هذا المكان.

٢٨ ـ النص الأصلي مثقوب في هذا المكان.

٢٩ ـ أي في يوم ١٨٣٠/٧/٥ والرسالة المذكورة موجودة في:

General Records of the U.S. Government. Departement of state, R. G. 59 - Counsular Dispatches From Algiers.

٣٠ ـ هو الكونت Louis - August Bourmont عسكري من عائلة أرستوقراطية ولد في سنة ١٧٧٣ وانضم للجيش الفرنسي قبيل ثورة ١٧٨٩ وانضم فيما بعد للقوات الملكية المعارضة للثورة، وبقي خارج فرنسا حتى سنة ١٨٠٤ حيث انضم لقوات نابليون وأخلص في خدمته وترقى في سلك ضباطه حتى حصل على رتبة جنرال، ولقد هجره في معركة واترلو وانضم إلى القوات البروسية. وعند عودة الملكية لفرنسا عاد إلى الجيش الفرنسي وحصل على منصب وزير الحربية في وزارة بولينياك. ولقد كان في ذلك المنصب عندما تم تعيينه قائداً للحملة على الجزائر. وتقديراً لجهوده في تلك الحملة تمت ترقيته إلى رتبة ماريشال فرنسا.

٣١ ـ النص الأصلي مثقوب في هذا المكان.

٣٢ ـ النص الأصلي مثقوب في هذا المكان.

٣٣ ـ النص الأصلي مثقوب في هذا المكان.

٣٤ ـ النص الأصلي مثقوب في هذا المكان.

٣٥ ـ المقصود بالعدو هنا هو القوات الجزائرية والجبهة والجناحين هي جبهة وجناحي الجيش الفرنسي المتقدم.

٣٦ ـ وتسمى أيضاً حصن أو قلعة السلطان قلاصي أو قلعة الامبراطور نسبة للامبراطور

شارل الخامس من آل هابسبرغ الذي تحصن فيها أبان حملته الفاشلة على الجزائر في خريف سنة ١٥٤١.

٣٧ ـ يقصد حرب الاستقلال الأمريكية ١٧٧٦ ـ ١٨٨٣ والتي ساعدت فيها فرنسا المستعمرات الأمريكية على نيل استقلالها من بريطانيا.

٣٨ ـ إن أعلى نقطة في المنطقة المحيطة بمدينة الجزائر هي قمة بوزريعه بالأعراف الشرقية لما يسمى بكتلة الساحل. ويبلغ ارتفاعها ٤٠٧ متر أي ألف وأربعمئة قدم تقريباً. لذا لا يعقل أن يكون ارتفاع مكان الحامية اثنى عشر ألف قدم بل الأرجح أن يكون الكاتب قد قصد ألف ومائتي قدم.

٣٩ ـ يقصد بالطبع عيد الاستقلال الأمريكي الذي يقع في الرابع من شهر يوليه.

٤٠ ـ ديفال Pierr Deval، فرنسي من أسرة خدم رجالها ملوك البوربون كقناصل ووكلاء في الدولة العثمانية لمدة طويلة. ولد في اسطنبول وتعلم العربية والتركية في سن مبكرة. عمل مترجماً في القنصلية الفرنسية في صيدا وحلب والاسكندرية، تم تعيينه نائباً للقنصل الفرنسي في بغداد في سنة ١٧٨٦ وبقي في ذلك المنصب حتى سنة ١٧٩٤ حيث عزلته حكومة الثورة الفرنسية من منصبه، وتمت مصادرة ثروته لاتهامه بالولاء للملكية. وفي سنة ١٨١٥ بعد عودة أسرة البوربون لحكم فرنسا تم تعيينه قنصلاً عاماً لفرنسا في الجزائر.. إلى جانب عمله القنصلي، مارس ديفال التجارة، ويبدو أنه دخل مع عائلة بكري اليهودية في نوع من الشراكة. وعندما تعقدت أمور ديون القمح التي للجزائر على فرنسا، لعب ديفال دوراً مشبوهاً جعل الداي حسين يطلب من فرنسا عزله من منصبه. وفي يوم عيد الفطر من سنة ١٨٢٧ وأثناء نقاش بين الداي والقنصل، قام الداي بطرد ديفال من حضرته. وتسببت هذه الحادثة في توتر الجو بين فرنسا والجزائر. ولقد مات ديفال بعد احتلال فرنسا للجزائر بفترة قصيرة.

٤١ ـ النص الأصلي مثقوب في هذا المكان.

٤٢ ـ النص الأصلي مثقوب في هذا المكان.

٤٣ ـ النص الأصلي مثقوب في هذا المكان.

٤٤ ـ النص الأصلي مثقوب في هذا المكان.

٤٥ ـ النص الأصلي مثقوب في هذا المكان.

٤٦ ـ النص الأصلي مثقوب في هذا المكان.

٤٧ ـ النص الأصلي مثقوب في هذا المكان.

صـــورة الوثيقـــة *

.

* كل صفحتين تمثلان صفحة كاملة من نص الوثيقة الأصلي

Hon. J. Adair.

Algiers 15th July 1830

Sir

I took occasion a few days ago, by an opportunity for Versailles that unexpectedly presented itself, to acquaint you that a report of much probability in its shape and circumstances had reached here from Mahon, of my having been superseded by the appointment of our distinguished fellow citizen Com. Porter. To this decree of severe justice I bow with submission and humility - sustained by the hope that my conduct here has not merited disapprobation, and by the consciousness of being, however inconsiderable and unworthy in the estimation of my country's authorities, unsurpassed in filial love and veneration for her soil, her character, her liberty and laws. This irreprosible and ardent sentiment, I say as securely for manifesting the same zeal in her service now that I am disavowed, which animated me before the fact of my being superseded was known to me, did the circumstances in which this country is now placed afford any occasion for

to display. But the deposition of the Dey and his deportation
to distant Country, seem to have suspended, if not altogether
annulled the principal functions of the office with which I
charged.

On the 5th Inst. I had the honour to report
to you the capture and occupation of this City by the French
Army under the command of Gen.l the Count de Bourmont, after a
series of varied and successful operations which commenced with
his landing at Sidi Ferruch on the 14th of June, and terminated
there terminated. Were it within the compass of my duty to
characterize this short campaign, I should observe, that al-
though the French Commander gave no example of that
daring enterprise and rapid combination, with which the
Turks

M. Van Buren
&c. &c.

students and tutors of French warfare have of late years been Prussian, his measures were as bold and as vigorous, as that sort of prudence which leaves nothing to fortune, rendered practicable. As he never advanced without forcing his enemy, so he never halted without fortifying his position, nor extended his line of operations without giving additional security to their base. The route from Sidi Ferruch to Algiers is a distance of about twelve miles, along the base of a promontory of which Cape Caxine, five miles west of Algiers and nine east of Sidi Ferruch, is the headland. Though hilly and covered for the most part with a low and prickly brushwood, with here and there hedges of Aloe Cactus, and Mastick, it is not obstructed by [illegible] rivers or mountains, passable for Cavalry, and without much difficulty for Artillery, and traverses at once to the most extensive Camp d'Asile. Yet with but a disorderly and fugitive resistance from the Arabs and Kabyles, the Bourmont consumed fifteen days in arriving within cannon shot of the fort which constituted the principal defence of Algiers on the land side - having at the

came with often superior and never superior numbers opposed to him. His force is stated to amount to 45.000 land troops, besides the cooperation of a fleet manned by 15.000 marines, and I think the subsidiary force opposed to him has at a- ment reached 350.000 men. On the 19th he advanced for Tenitch early in the morning and surprised the Camp of [redacted] el Mamelly, about three miles on the route to Algiers. Cap many of the Turkish troops, dispersed the rest, and took a quantity of treasure and military stores. On the 24th the enemy collecting in force on his front and on his flanks, he moved forward again about 8 o'clock in the morning in eight columns, and driving be- fore him the sharp but undisciplined opposition of the Aga's army took possession of the second camp of that Chief, and occupied a range of heights in front of it, about 4 miles from the town. On this occasion as on that of his former advance, the Arabs and Kabyles, flew past the town along the sea shore to the eastward, leaving no army between the French lines and Algiers.

Holding this position and continuing to strengthen it and his communication with the Fleet, as well as to bring up ammunition and artillery, up to the morning of the 29th Count Bourmont was contented to repel the skirmishing and reply to the Cannonade of the Aga, which were brisk and sanguinary, until the dawn of that day, when having had the choice of his four sons [who accompanied him] mortally wounded ~~the day before~~, he attacked and routed his irregular adversaries again, who a third time fled beyond the City, and left it defended only by its works. Although I could not help sympathising with the invaded party in this war, and could not view, without pity the courageous, but ineffectual resistance, which they opposed to the prowess and skill of the French Army and Commander, I do not know that I ever experienced a prouder glow of sympathy and triumph, than when I first beheld from the terrace of our garrison, the victorious Christian troops driving the Barbarian hordes before them, and

crowning the heights in full view of Algiers - their kindred banners streaming proudly to the wind, and their conquering arms glittering in the morning sun. - As I had the honour to mention in my letters of the 21st of April and 9th of May, the Consuls of Spain, Naples, Denmark and Sweden with such members of their families as remained here during the war, and with all the Christians and a number of Jews dependent on them, were united in a large foreign house, and organized in the form of a garrison, which was protected by the American flag and placed by their unanimous choice under my command. From the moment that the apprehended descent of the French drew from the plains and mountains to the vicinity of Algiers the bands of Arabs and Kabyles upon whose exaggerated numbers and fanatical courage, the Dey and his Janizaries relied but too confidently, the houses of the four Consuls above mentioned were too much exposed to insult and [illegible]

be habitable, and mine, though from its position less liable to intrusion, was by no means safe. On the 26th of May therefore we were constrained to leave our several residences and to repair to the fortress which with the consent of the Dey we had as selected and prepared to shelter us and our numerous dependants in a safe neutrality, until the storm of war should have passed by and the waves of contention have subsided around us. The inclosed papers, being copies of our Constitution, and of our first order for the regulation of the garrison, will explain to you the nature of our association and apprise you of the pressure of danger under which it was formed. Its event was I am happy to say most fortunate, for while the houses around us, the property of Moors and Jews, were cruelly plundered, with the frequent loss of lives among the latter, we maintained ourselves in perfect security, and with but slight exceptions, in perfect quiet. Each time that the alliance of the French drove the

Turkish forces along by our establishment, it was apprehended that so small a body of Christians would present too tempting an object for their revenge and mortification - while each time that they returned to the contest it seemed probable that confidence and cupidity would prompt them to attack us. Our respectable defences, and favourable position however, not only saved us from their violence, but gave us the satisfaction of knowing, that we were the means of protecting many families in our neighborhood, while the French got possession of the ground. This as before stated occurred on the 29th when the French Commander sent a party with assurances of respect and assistance, but proposing to occupy our position as a necessary point of support for his left flank. In accepting gratefully his offers of courtesy and protection I thought it my duty by declining to yield our place to him, to maintain

the Neutral position held by the United States, and the Consuls of
the several Consuls under my flag, towards France and Algiers, and
the friendly one in which our respective credentials placed us all
in relation to the latter. I went so far as to request that he
would not occupy the immediate environs of our garrison
with troops, and more especially as one of his officers had intim-
ated, with a battery, in as much as it would infallibly draw on us the
fire of the Dey's forts and involve our families, in which were inclu-
ded Ladies and children, in serious danger. This request I enforced
by observing that hitherto our neutral character had been scru-
pulously respected by the Barbarians, and that I hoped the
measures of the French General would not force us to regret
the approach of a Christian Army. I must suppose that either
this appeal or a closer view of the ground, induced him to dis-
pense with the erection of a battery near us, but it seemed a

matter of military necessity that he should occupy the height on which our garrison was situated. This was done by General Achard with the Bigarre he commanded, and though it was done in spite of my remonstrances, I have no doubt the operation was undertaken by military prudence, and I have written so that it was executed with firmness and delicacy. He ordered a guard of 40 men to be detached for our use, and upon learning that my father and L'. father of Baron St. Simon had been aquainted in the wars of our revolution, he directed that officer to take command of the party. This arrangement, together with the immediate and continual concourse of French officers of all ranks to visit us, rendered, and enjoy the view of the fleet, the arrival of which and the city from our terrace, had the immediate effect of what was apprehended, of attracting to us the fire of the forts, one of the first balls from which tore away [illegible]
Genl R. S. [illegible]

troops, nor refuse the duties of hospitality to their officers, our table and our terrace were constantly crowded, the former the only Christian one within their lines, and the latter the most commanding point of view in the environs of Algiers. Of this the consequence was a great increase in the expense of our establishment and the frequent direction of bombs and bullets against it. The first we trust our governments will reimburse, and the last we escaped by means of the peculiar situation of our fortress, which was so placed in relation to the ground on which it stood and the guns which played on it, that it was almost impossible for a ball to rise high enough to reach it without passing over it. It was however an unpleasant state of exposure that we were placed in, and for the ladies a most painful one, from the 29th of June to the 5th July. I am sorry to observe that the French troops were guilty of many excesses, which though more suitable to the character of savages, than barbarous nations are scarcely equal to. On the morning of the 29th while their

officers were partaking of their refreshments, a party of soldiers broke into the house of the Neapolitan Consul which had the flag of Naples flying on it shot his gardener, a European, his Prussian Jew, and the daughter of the Broker. This outrage has been attempted to be justified by the improbable assertion that the gardener and the Jew had - previously fired pistols against the French soldiers - an assertion which their soldiers make and which the victims of their brutality contradict. It is with more plausibility palliated on the ground of its having been committed in the heat of blood and flush of conquest, when the French troops had just forced the Arabs from the last ground they made in the field. This excuse I should have been inclined to consider in case they not subsequently in cold blood, broken open and robbed the houses of the Swedish and Danish Consuls, and finally my own, destroying property of much value in the two former, and pissing [illegible] little to

plunder on the last. From what I could learn their depredations to equal
excesses that of the barbarians generally, and were not repressed by
a single instance of punishment. Their outrages took place between
the 29th and 5th July, which interval was employed by
their commanders in opening trenches and constructing batteries
against fort de l'Empereur, a castle of considerable antiquity
and strength which commanded the city and constituted its
principal defence on the land side. From this fort, from various
smaller ones, and from the fortified walls of the palace, the Turks
kept up an incessant fire of shells and shot on the men in the
trenches, and on such parties of French as showed themselves on any
point within the range of their fire. But a garrison which had before
been respected, was as I have already mentioned, frequently assailed
at, and we found ourselves unable to occupy or to leave it with
safety. For as long as we were surrounded by the French, the Turkish
batteries would play on us - while, if we withdrew from the neighb-

borhood and protection of the French, having once been a spectacle with them, we were sure to incur the hostility of the Arabs, and be, in an unfortified house unable to repel it. We decided therefore to remain, Callis's skeleton and all - and fortunately escaped with a cold & fever amounting to about 210 persons; without the loss of a single life. During this time, as from some want of correspondence between the services of the navy and the wants of the army, the officers and men quartered upon us were often without rations, our provisions were necessarily consumed in great quantities. I remember at one time we had to give eleven mutions for rations for the men. We dined this, but we entertained the officers, with pleasure, a pleasure which I believe I felt with peculiar force, as I found among them many which were distinguished in our revolution - the duc de Noailles, the duc de Lauzun, the Comte de Damas, M. de Ségur, M. de Lameth, Comte de Caraman, & M. de Lameth, who seem to have accompanied the French ships

8

of their fathers for the U. States. To the want of efficiency in the connection between the fleet and the army I presume is to be attributed the length of time which elapsed between the commencement and the completion of the French works - the cannon for mounting which was not brought up from Vido Ferrariah until the evening of the 3rd - a route of about 10 miles - secured against an enemy once by a chain of redoubts. The military cooperation of the fleet was feeble and ridiculous in the extreme. On the 1st of July a squadron consisting of 2 line of battle ships 18 frigates and several smaller vessels, commanded by vice Admiral Duperré and Rear Admiral Rosamel, bore down with a fine breeze off the land from Cape Canon and keeping abreast of the small forts which defended the coast from that Cape to the town, opened a fire on them in succession, which we supposed was intended not only to divert the Turkish batteries from annoying the army and interrupting their

works, but to destroy all the forts exposed to it. Our position about 12,000 feet immediately above this part of the coast gave us and a large number of the French officers who came to witness it, a fair and close view of the whole operation. Although the ships passed in succession each succeeding one seeing the effect of her consorts shot, and though most of them fired more than one broadside, scarcely any of their balls reached the shore, and but 2 or 3 any of the forts to which they did not the least damage, and so far were they from silencing even the smallest among them, that five of these seven immense numbers of French officers about our house, renewed their fire on us in the midst of the French cannonade. Some of the officers who were of the highest rank ridiculed, some execrated this display, while others explained it as a mere spy for the purpose of getting the depth of water and distance of the forts preparatory to a real & successful attack

The army continuing to suffer much from the incessant cannonade of the Forts on the working parties and guards, on the 3rd the fleet approached again from the same point, in the same order and in much greater force. We had the same advantageous view of this operation that we had of the former as had a still greater number of French officers than had then been with us. The Squadron now consisted of 7 line of battle ships, 15 frigates, 6 [illegible] vessels, some smaller vessels, and 2 steam boats one of which occasionally fired. The leading ship was a frigate, which performed her part with gallantry and precision. She passed all the batteries from Cape Carron down to the most formidable works of the town - ranging along in point blank shot and pouring on her broadsides with unabated rapidity. Next followed the ships of the line bearing the vice Admiral's flag, but she kept at a greater distance and had but little effect. Each succeeding ship kept further

and further from the land, and approached less and less near
to the strong batteries of the town; so that the weight of this immense
fire instead of being directed against the town and the strong batteries
which defend the harbour, was expended on the inconsiderable forts
which guard the approach to it from the west, not one of which
did it silence. I had never witnessed such a cannonade before,
and had no conception that such a weight of fire could be per-
fectly harmless. We did not perceive that it killed a single
individual, nor have I since learned that it did. It was
computed that each broadside of the fleet threw about 700 lbs
and that on an average the ships fired three broadsides, so
that 21.00 guns were fired by the squadron without produ-
cing perceptible effect. They suffered but little injury, except
the crushing of a gun in the admiral's ship - which
no other slaughter ensued from the great [illegible]

general. took, produced some told great sensation. This exhibition being without excuse or palliation, occasioned great mortification among the land officers - who did not conceal their chagrin and disappointment. It was probably the most signal of the many instances to be found in the annals of France, of the total incapacity of that warlike nation for great exploits at sea. —

The next day being the anniversary of our independence, they commenced operations on a more suitable element and of a different character as mentioned in my letter of the 5th Inst. batteries mounting 26 long guns and 2 mortars, were opened by Genl La Hitte the commanding officer of Artillery against the fortified castle which commanded the approaches to the city, and the city itself. This part of the service was admirably performed. The batteries were from half a mile to a mile from the fort, and owing to the deception arising to the view here, from the clearness of the atmosphere and the

[illegible] — just fell short of their mark, but after a few tentative rounds they caught the distance and the precision with which they fired was truly admirable. After 4 hours fire, the fort was silenced, although the Algerine prime Minister, who commanded it, assisted in working the guns himself, and distributed handfuls of gold among his men to purchase their services. At length he set fire to a magazine and blew up the fort. The explosion was so violent that it cracked the walls of houses two miles off. In a short time after this took place the Dey solicited and obtained the good offices of the English Consul, who at no small risk of his personal safety, saved the town from the horrors of a storm and secured to the Dey and his subjects protection for their persons and property. The next day at 1 o'clock the French troops took possession of the palace and the other [illegible] palaces on

10

the city and its inhabs. Thus ended the military proceedings of the French Commander. His political operations have been not less remarkable. This he began by deposing the Dey and declaring the Turkish authority extinct in this Regency. He has since sent off the Dey and his two sons in law, (the late Aga of the Janissaries and the Minister of Marine) with his and their families, and a fortune in Jewels and gold, supposed to amount to 2 millions of dollars, in a ship of the line to Mahon; whence it is said he is to proceed either to Naples, Leghorn or Malta, those three places appearing to divide his preference equally where he left here. Genl Bourmont has also shipped off all the remaining Turks that he found here, amounting to about 12.00, to Bougia, and has disarmed the moorish ones who have chosen to remain. He proposes it is said demolishing the forts, and sending to France all the cannon. He has established a Moorish executive council, with whose assistance he governs his conquest, and has appointed certain Moorish officers, with titles and duties familiar

to the population, and placed them in concert with such French authorities, as are found necessary for the police of the City. He has rescued the French prisoners that were here, about 200 in number, and sent them back in safety to their country, and he has obtained possession of the long descended public treasure of Algiers, amounting in gold silver and jewels, according to the best conjectures, to the enormous sum of from one hundred to one hundred and fifty millions of dollars - much more than the estimated cost of the expedition. To this is to be added the value of the provisions military stores, including 2.000 cannon, 1000 of which are brass, a quantity of ship timber, a frigate on the stocks and other. For this great success we understand he has received the baton a Marshall of France. His conquest however does not end beyond the fire of his cannon - the Arabs who possess the and the Kabyles who inhabit the mountains neither will they submit to his authority as a

- nally terminated the existence of Algiers as a piratical state, it remains to be seen whether he can impose adequate restraints on the ferocious tribes and nations which under the influence of a common religion and of ancient conquest, heretofore acknowledged its sway. In order to accomplish this purpose he is despatching an expedition of 3.000 men, two ships of the line, and five frigates against the seaport of the Bey-ships of Constantina about 280 miles east of this place, which is held by a small Turkish garrison, that will probably be made an easy conquest. But this success will doubtless be still more local in its effects than the conquest of Algiers - as will in all likelihood be the capture of Oran, which is said to be meditated - so that the French power after being firmly established on these three points of the coast will extend itself but slightly over the territory and population of Barbary. Before I was apprised of the rejection of my appointment it appeared but too evident that its principal functions had

been annihilated by the overthrow of the government to which I was accredited. The diplomatic concerns in this quarter as long as the country remain by France are of course transferred to our minister at the court of that country, and the only authority remaining to this office is that pertaining to an ordinary commercial agent - for as to superintendance over the other Barbary Consulates was founded on the superiority of this Regency to the other Barbary Powers, it expires necessarily with that superiority. A circular which has lately been addressed by the French Commander to the Consuls here, even though it does not define the nature or duration of his own authority, seems to consider the future duties of Consuls here as limited to commercial concerns. A copy of this circular you will find enclosed, and you will observe the confusion of inferences to which it gives rise. By reestablishing the French Consulship here, it would appear that this Country was at an end to regain its ancient

pendence of France, while the intimation that the agents of the other
Christian powers here are to transact the affairs of their several nations
through the French Consul, places him in the position of a co-
ordinate ministry of this Country and its Govt. entertaining the propo-
sitions and discussing the interests of nations in intercourse with
Algiers. In short one part of the note considers Mr. Duval as the
Consul of France, the other as the minister of foreign affairs
for this Government. Considering it better to leave this incon-
-sistency to the explanation of events or the examination of my
successor I have made no reply to the note, but have waited
on the Consul of France, for the purpose of shewing a cere-
-monious acknowledgement of his official character. A
visit of the same kind I paid to the French Commander, but, un-
-like my colleagues, not until the Deposition of the Dey was com-
-pletely effected. Even then I thought it more consonant to the fe-

and magnanimous character of the United States, to visit the fallen prince, before I called on the successful General, and to pay the same respect to the former in misfortune, which I had been accustomed to shew him in the height of his power. This deportment in spite of his natural gravity and personal firmness, extorted the expression of deep emotion.

I cannot inform myself of the ulterior designs of the French Govt respecting the degree of subjection to which they propose reducing this Country, and as you may be acquainted with them through Mr Rives, I shall not trouble you with speculations further than to say it seems probable they will establish a Moorish Regency, dependent on and tributary to France. If I have been in error [illegible] of this letter, it is because I [illegible]

myself of a solemn interest in the events which accompanied the last struggles and final ruin of this government, which through its existence has been marked by crimes and by folly, has exercised for more than four centuries no small degree of influence on the affairs of the world, and in spite of the vitiating effect of a base name, has of late years been conducted with commendable equity [redacted] faith. Something of the same feeling may perhaps induce you to pardon the length of this communication, and to receive without impatience the renewal of the assurances of esteem and respect with which I have the honour to salute you,

H. Lee

المصادر والمراجع العربية

١ ـ الجزائري، أحمد،
كيف دخل الفرنسيون الجزائر، وصف شاهد عيان وضعه أحمد الجزائري، نشره وقدم له صلاح الدين المنجد (بيروت، ١٩٦٢).

٢ ـ الجزائري، حمدان بن عثمان خوجه،
المرآة لمحة تاريخية واحصائية على أيالة الجزائر عرّبه وقدم له وعلق عليه وفهرسه محمد بن عبد الكريم (بيروت، ١٩٧٢).

٣ ـ الزبيري، محمد العربي
مذكرات أحمد باي وحمدان خوجه وبو ضربه، (الجزائر، ١٩٨١).

٤ ـ كوران، ارجمنت،
السياسة العثمانية تجاه الاحتلال الفرنسي للجزائر، ترجمة عبد الجليل التميمي (تونس، ١٩٧٠).

المصادر والمراجع الأجنبية

Archivals Documents

- U. S. Government, Records of Department of State, R. G. 59 - Consular Dispatches from Algiers.

News Paper

- Sémphore de Marseille.

Printed Sources

- Aulard, A. «L'insulte faite au consul de France par le dey d'Alger en 1827». **Revolution Française** 1923 vol. LXXVI, pp. 160 - 164.
- D'Ault - Dumesnil, Edouard. **De L'expédition d'Afrique en 1830** (Paris, 1832).
- Azan, Paul. **L'expédition d'Alger.** (Paris, 1930).
- Barchou de Penhoen, Le Baron. **Mémoires d'un officier d'étate - Major. Expédition d'Afrique** (Paris, 1935).

- Émerit, M. «Le Mémoires d'Ahmed, dernier bey de Constantine», **Revue Africaine** (1949): pp. 65 - 125.
- Esquer, G. **Les commencements d'un Empire. La prise d'Alger (1830).** (Paris, 1830).
- Fisher, Sir Godfrey. **Barbary Legend: War, Trade, and Piracy in North Africa 1415 - 1830.** (London, 1957).
- Julien, ch - A. **Histoire de L'Algérie contemporaine tome I la conquête et les debuts de la colonisation (1827 - 1871)** (Paris - 1979).
- Khoja, si Hamdan ben Othman. **Aperçu historique et statistique sur la régence d'Alger, intitulé en arabe (le Miroire), par Sidi Hamdan ben Othman Khoja fils de l'ancien secretaire d'état (Maktabdji) de la régence d'Alger, traduit de l'arabe par H. D. Oriental.** (Paris, 1833).
- Lee, Henry. **The Campaigen of 1781 in the Carolinas, with remarks historical and critical on Johnson's life of Green. To which is added an appendix of original documents relating to the history of the revolution (Philadelphia, 1824).**
- **————, The life of Napoleon Bonaparte down to the Peace of Tolento and the close of his First Campaign in Italy.** (London, 1837).
- Pellissier de Rynaud. **Annales algériennes** 3 vols. (Paris 1836 - 1839).
- Rothenberg, G. E. **The Art of Warfare in the Age of Napoleon** (Bloomington, 1978).
- De Schlecta, O. «La Prise d'Alger par an Algérien» **Journal Asiatique** no. 11, September - October 1862, pp. 319 - 340.

مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية

تصدر عن
جامعة الكويت

رئيس التحرير
د. بدر جاسم اليعقوب

* مجلة علمية فصلية محكمة تصدر ٤ مرات في السنة.
* تعنى بشئون منطقة الخليج والجزيرة العربية السياسية، الاقتصادية، الاجتماعية، الثقافية، والعلمية.
* صدر العدد الاول في يناير ١٩٧٥.
* تقوم المجلة باصدار ما يأتي:
  ا) مجموعة من المنشورات المتخصصة عن منطقة الخليج والجزيرة العربية.
  ب) مجموعة من الاصدارات الخاصة والمتعلقة بمنطقة الخليج والجزيرة العربية.
  جـ) سلسلة كتب وثائق الخليج والجزيرة العربية.
* عقد الندوات التي تهم المنطقة او المساهمة فيها واصدارها في كتب
* يغطي توزيعها ما يزيد على ٣٠ دولة في جميع انحاء العالم.
* الاشتراك السنوي بالمجلة.

ا) داخل الكويت: ٢ د.ك. للافراد ـ١٢ د.ك للمؤسسات.
ب) الدول العربية: ٢,٥٠٠ د.ك للافراد ١٢,٠ د.ك للمؤسسات
جـ) الدول الاجنبية: ١٥ دولاراً للافراد ٤٠ دولاراً للمؤسسات.

المقر: جامعة الكويت - الشويخ
هاتف: ٤٨١٦٨٠٧
٤٨١٦٧٩٩
٤٨١٦٨٢٤
٤٨١٤٢٩٥

جميع المراسلات توجه باسم رئيس التحرير على العنوان الآتي:
ص.ب: ١٧٠٧٣ - الحالدية - الكويت - الرمز البريدي 72451

المجلة العربية للعلوم الانسانية

فصلية : محكّمة
تصدر عن جامعة الكويت

رئيس التحرير

د . عبد الله أحمد المهنا

المقر : كلية الآداب ـ مبنى قسم اللغة الإنجليزية
الشويخ ـ هاتف ٨١٧٦٨٩ ـ ٨١٥٤٥٣

المراسلات توجه إلى رئيس التحرير :

ص.ب ٢٦٥٨٥ الصفاة
رمز بريدي 13126 الكويت

● تلبي رغبة الاكاديميين والمثقفين من خلال نشرها للبحوث الأصيلة في شتى فروع العلوم الإنسانية باللغتين العربية والإنجليزية، إضافة الى الأبواب الأخرى، المناقشات، مراجعات الكتب، التقارير.

● تحرص على حضور دائم في شتى المراكز الأكاديمية والجامعات في العالم العربي والخارج، من خلال المشاركة الفعّالة للأساتذة المختصين في تلك المراكز والجامعات.

● صدر العدد الأول في يناير ١٩٨١.

● تصل الى أيدي ما يزيد على عشرة آلاف قارىء.

الاشتراكات

● في الكويت : ٣ دنانير للأفراد خصم ٥٠٪ للطلاب، ١٤ ديناراً للمؤسسات.
● في البلاد العربية : ٤ر٥ دينار كويتي للأفراد، ١٦ دينارا للمؤسسات.
● في الدول الأجنبية : ٢٠ دولاراً للأفراد، ٦٠ دولاراً للمؤسسات.

ترفق قيمة الاشتراك مع قسيمة الاشتراك الموجودة داخل العدد.

المجلة التربوية

تصدر عن كلية التربية - جامعة الكويت

مجلة فصلية - متخصصة - محكمة

رئيس هيئة التحرير

د. عبد الرحمن أحمد الأحمد

تنشر البحوث التربوية، ومراجعات الكتب التربوية الحديثة
ومحاضر الحوار التربوي، والتقارير عن المؤتمرات التربوية

* تقبل البحوث باللغتين العربية والانجليزية

* تنشر لأساتذة التربية والمختصين فيها من مختلف الأقطار العربية والدول الأجنبية .

الاشتراكات :

للأفراد في الكويت	٢ د.ك	وللطلاب	١ د.ك
للأفراد في الوطن العربي	٢,٥ د.ك	وللطلاب	١,٥ د.ك
للأفراد في الدول الأخرى	١٥ دولاراً أمريكياً بالبريد الجوي		
للهيئات والمؤسسات	١٢ د.ك وفي الخارج ٤٠ دولاراً أمريكياً.		

توجه جميع المراسلات باسم رئيس التحرير على العنوان التالي :

المجلة التربوية - ص.ب ١٣٢٨١ كيفان - الرمز البريدي **71953** الكويت.

هاتف : ٤٨٣٠٢٦٨

مجلة العلوم الاجتماعية

تصدرها جامعة الكويت

مجلة فصلية أكاديمية تعنى بنشر الابحاث والدراسات في مختلف حقول العلوم الاجتماعية.

رئيس التحرير: د. فهد ثاقب الشاقب

منبر حر للأكاديميين العرب.

توزع أكثر من (٨٠٠٠) نسخة.

الاشتراكات

للمؤسسات: ١٢ ديناراً في الكويت.
١٥ دولاراً أمريكياً في الخارج

للأفراد: ٢ دينار في الكويت، ١ دينار للطلاب
٢,٥ دينار أو ما يعادلها في الوطن العربي.

١٥ دولاراً أمريكياً في الخارج.

الموزع في الكويت والخارج: مجلة العلوم الاجتماعية

توجه جميع المراسلات الى رئيس التحرير على العنوان التالي:
مجلة العلوم الاجتماعية - جامعة الكويت ص.ب ٥٤٨٦ / الكويت
هاتف: ٢٥٤٩٤٢١ / تلكس ٢٢٦١٦

The French Occupation of Algiers in a Contemporary American Document

Abstract

This paper introduces an American Document which the author has found in the National Archives in Washington D. C. The Document is a lengthy consular dispatch sent by H. Lee, the American consul in Algiers at the time of the French invasion of Algeria, to the Foreign Secretary Mr. Martin Van Buren, ten days after the French occupation of the city.

By studying this Document, the author aims to pointing out the contribution non-French sources could add to the History of Algeria.

The dispatch gives a somewhat impartial description of the invasion and occupation of Algiers adds some new information about that incident, and disputes some French claims that has persisted since the days of the occupation.

The paper begins by giving relevant information regarding the document and its writer, who in addition to being a diplomat, was a historian and a military man of some note. It then discusses some of the important issues that are raised by the information and opinions that are given in the dispatch. Among theses issues:

1. The size of the Algerian Defence Force: The writer of the dispatch points out very clearly that the number of this force was quite smaller than the number of the French forces, and by using his estimates, one is led to believe that the Algerian forces were less than 30,000 men.

2. The role of the French Navy in the invasion: It is clear from the dispatch that the French Navy was completely impotent in the face of the Algerian defenses, and was unable to harm the city or its defenses.

3. The French conduct during the invasion: The dispatch cited many incidents of pillage, theft and murders that were committed by the French forces, most noteable of which, is the misdeeds carried out against some Foreign Consulates in Algiers, among which the Swedish and the American.

The Author:
MANSSOUR A. ABOUKHAMSEEN
Ph. D. in Modern History, University of California, Berkeley, 1983.

Teacher of Modern History, Kuwait University.

English Publication: «An Early Page of East - West Relations: The Saint - Simonians Between Pacifism and Violence, Nationalism and Internationalism». **The Arab Journal of the Social Sciences,** Volume 2 no. 1.

Arab Publication: «American Sources and Algerian History, A Bibliographic Study». Arab Journal for the Humanities.

FIFTY - FIFTH MONOGRAPH

The French Occupation of Algiers in a Contemporary American Document

Dr. Manssour Aboukhamseen
Department of History - Kuwait University

Annals of The Faculty Of Arts
Volume IXm 1987-1988

ANNALS OF THE FACULTY OF ARTS

Issued by the Faculty of Arts, Kuwait University

A REFEREED SCIENTIFIC PERIODICAL THAT PUBLISHES MONOGRAPHS ON TOPICS RELEVANT TO THE SCIENTIFIC CONCERNS OF THE VARIOUS DEPARTMENTS IN THE FACULTY OF ARTS.

Volume IX, 1987 - 1988

Kuwait University

ANNALS OF

THE FACULTY OF ARTS

The French Occupation of Algiers in a Contemporary American Document

Dr. Manssour Aboukhamseen

Department of History - Kuwait University

VOLUME IX

FIFTY - FIFTH MONOGRAPH

1408 - 1409

1987 - 1988